محمد
رسول الله ﷺ

الجزء الثاني

الشيخ خواجة شمس الدين عظيمي

محمد

رسول الله (ﷺ)

الجزء الثاني

المؤلف

الشيخ خواجـة شمس الدين عظيمي

www.ksars.org

Email: info@ksars.org

المحتويات

تمهيد ____ 4
القرآن والكتب المقدسة ____ 6
اقتراب النجوم ____ 7
سحب غيماء ____ 9
تبت يدا ____ 11
قاب قوسين أو أدنى ____ 12
ليلة الهجرة ____ 15
زعيمان ____ 18
نَظَرُ الرَّجُلِ الحَقّ العارف ____ 19
شق القمر إلى جزئين ____ 19
الجبل المطيع ____ 23
صارتِ الحجارةُ لرسولِ الله ﷺ كالشَّمْعِ، فَلَانَتْ وانقادت له. ____ 26
تسبيح الحصا ____ 27
زهق الباطل ____ 27
قصة حنين الجذع ____ 30
سيفٌ من جريدِ النخلِ ____ 33
العصا صارت قنديلاً ____ 33
الخشب يضيء ____ 34
وضع الجملُ رأسه تحت قدمي رسولِ الله ﷺ ____ 34
حفنة تراب ____ 36
مستجاب الدعوة ____ 38
جاء الأسد ____ 39
نزل المطر ____ 39
أم أبي هريرة ____ 39
عاد البصرُ إلى العين العمياء ____ 39

البركةُ في الطعام 39
غزوة الخندق 41
براءة عائشة رضي الله عنه 47
بئرُ الحديبية. 52
الماءُ في طريقِ تبوك 52
لم ينقصِ الماءُ في القِرَب 52
مفتاح الكعبة 54
المقاطعة 55
الكرم والسخاء 58
يد من رحمة 60
الجن يقول: أسرع 64
الله هو المنقذ 65

تمهيد

تعني كلمة "معجزة"، فنيا، ظاهرة ميتافيزيقية يأتي بها رسول من الله للبرهنة على حقيقة معرفته النبوية.

كما أن العديد من البشر الآخرين، إلى جانب الأنبياء، قد أتوا بأعمال لها طبيعية ميتافيزيقية. وتعد العديد من الأحداث المشابهة التي تم رصدها في التاريخ دليلا على هذه الحقيقة. فالأتقياء والصالحون يأتون بمثل هذه الأعمال الميتافيزيقية بغرض تحذير وإخطار وإرشاد البشر. وقد كتب قلندر بابا أولياء في كتابه الرائع ''لوح وقلم'':

"يأتي التأثير الوصالي على ثلاثة أنواع.

أ. معجزة

ب. كرامة

ج. شعوذة''

الشعوذة هي شكل المعرفة الذي يوضع في الشخص لأسباب معينة كنتيجة لتأثير أرواح ليمبو الشريرة أو شياطين الجن. ولا يمكن للمشعوذ أن يكون معلما من الله. وهذا فرق فعلي بين الشعوذة والمعرفة النبوية حيث أن المشعوذ يظل مقيدا برؤية الغيب بينما تأخذ المعرفة النبوية الشخص إلى ما وراء الرؤية المجردة للغيب وتمكنه من التعرف على الإله بشكل حقيقي.

وعندما يحدث نشاط ميتافيزيقي على يد نبي من الله في نطاق معرفة نبوية فإنه يسمى معجزة. وبعد انتهاء النبوة يأتي أتباع نبي الله الذين يرثون المعرفة النبوية بظواهر خارقة للطبيعة تسمى ''كرامات''. ويسمى أتباع نبي الله الذين يرثون المعرفة النبوية بـ"الأولياء". وتكون آثار المعجزة والكرامة دائمة ومستمرة. هذا يعني أن التأثير يستمر حتى يتوقف الشخص الذي يمارسها بينما لا تكون آثار الشعوذة دائمة بل تتغير تلقائيا حينما يتغير المحيط. أي أن آثار الشعوذة تبطل حينما يمر المحيط بتغير. ويعرف كل ما يحدث تحت تأثير الشعوذة، فنيا، باسم السحر.

يسمي القرآن المعجزات التي يأتي بها الأنبياء آيات الله.

"فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ'' (سورة 29، آية 15)

"هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً'' (سورة 7، آية 73)

وعندما أعلن النبي الكريم (عليه السلام) عن نبوته طالبه كفار مكة بالإتيان بمعجزة ما. ويخبر القرآن الكريم عن مطالبة الكفار بهذه الكلمات:

"وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ'' (سورة 20، آية 33)

"وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ'' (سورة 29، آية 50)

" فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ'' (سورة 21، آية 5)

رأى رافضو تعليمات النبي أن الآية الجلية التي أتى بها نبي الله هي فتنة أو سحر أو شعوذة. ويقول القرآن ردا على مطالبة الكفار بظاهرة ميتافيزيقية:

"وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ'' (سورة 54، آية 2)

"قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ'' (سورة 29، آية 50)

يشهد التاريخ أن أنبياء الله قد قاموا بمعجزات كحجة أخيرة فقط. إلا أن المأسوف عليهم لا يوافقون على الإيمان حتى بعد أن يشهدوا المعجزات.

"وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ." (سورة 26،

الآيات 65-68)

عندما كفر قوم صالح حتى بمعجزة مشاهدة ناقة حية تخرج من الصخرة فقد حلت عليهم سنة الكون.

"وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ. وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ. وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ. فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ. فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ" (سورة 15، الآيات 80-84)

كان القليل فقط هم من صدقوا المسيح بعد شهود معجزاته. لم يتعظ مشركو مكة بمعجزات النبي الكريم (ﷺ). وعندما أُمر النبي الكريم (ﷺ) بتنزير المدينة خيم الظلام على المشركين ودخل النبي الكريم (ﷺ) ومن آمن به مكة فاتحين.

لا يتطلب أهل البصيرة والرؤية أي براهين خارقة للإيمان بالأنبياء. فيكون شخص النبي نفسه آية معجزة بالنسبة لهم. فقد بدأ كل من خديجة وأبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان وصحابة النبي الشهيرين الآخرين رضي الله عنهم أجمعين في الإيمان بالنبي الكريم (ﷺ) دون رؤية أي معجزة له.

يمنح كل نبي معجزات وفقا لذوق وطبع ومستوى فهم ومنهج تفكير الناس في زمنه. كانت حقبة موسى حقبة شعوذة وسحر. وقد أُعطي معجزات اليد البيضاء والعصا. ألقى سحرة بلاط الفرعون حبالهم وعصيهم التي تحولت إلى ثعابين. وأُمر موسى:

"أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ" (سورة 7، آية 29)

وعندما استسقى موسى لقومه قيل له:

"اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا" (سورة 2، آية 60)

في زمن المسيح كانت المعرفة العلاجية في أوجها. فمنح الله معجزة شفاء ذوي العمى والبرص وإحياء الموتى.

في عصر صالح كان فن النحت في ذورته. طالب المشركون، بناء على قدراتهم العقلية، بشيء مستحيل؛ بنحت ناقة حية من صخرة. فأشار إلى صخرة. فانقسمت الصخرة وظهرت ناقة حية وولدت طفلا. وهنا أُنذر قوم صالح:

"هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً"

وعن إشهار نبوة النبي الكريم (ﷺ) يعلن القرآن الكريم بوضوح:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ" (سورة 4، آية 174)

خواجة شمس الدين عظيمي
قاعة مركزي مر اقبة،
بلدة سرجاني،
كر اتشي،
11 يناير 1997

القرآن والكتب المقدسة

إن شخصية النبي الكريم (ﷺ) الجليلة لهي أروع قدوة للإنسانية جمعاء. فقد أرشده وعلمه الله بطرق عدة كما فعل مع الأنبياء السابقين له. إن الرسالة التي أوصلها إليه جبريل من حوالي أربعة عشر قرنا ما زالت موجودة كما نزلت على النبي الكريم (ﷺ) لم تحرف. لم تتبدل فيها نقطة أو فاصلة حتى حيث أن الله تولى مسؤولية حمايتها بنفسه.

بينما لم تبق الكتب المقدسة الأخرى عبر العصور أو بقيت مع تغييرات وتبديلات ضخمة.

في عهد النبي الكريم (ﷺ) وصل التفوق في السرد مقاييس فائقة لم تعرف للعرب من قبل. عندما عبر مشركو مكة عن شكهم في الوحي وحاولوا ألا يعترفوا بكونه كلم الله قال الله بوضوح:

"أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لّا يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ" (سورة 52، الآيات 33-34)

إن فصاحة وبيان القرآن الكريم الذين لا مثيل لهما هما علامتان أخريان للنبي الكريم (ﷺ). عندما فشل المشركون في التفوق على هذا بدأوا في دعوة الناس للعزوف عن الذهاب لمحمد وعدم الاستماع إليه وإلا ستوقعهم فتنته في شركه. كان الناس الذين هم على الفطرة يقولون، بعد الاستماع إلى آيات القرآن الكريم من محمد بشكل مباشر أو غير مباشر، أنهم معتادون على البيان الفائق للشعراء والكهان والسحرة إلا أن كلمات محمد تفوقهم وتتجاوزهم جميعا. ويعتبر إعتناق عمر (رضي الله عنه) وزعماء مكة الآخرين لإسلام واعتراف ملك الحبشة بنبوته من مهجزا محمد.

إن حياة النبي الكريم (ﷺ) بأكملها لهي مثال حي لوجود المعجزات وهي مليئة بالمعجزات. فإذا تأملنا في حياة النبي الكريم (ﷺ) وتدبرنا فيها يتضح لنا أن حياته بأكلمها معجزة. فلا يمكن لمجيئه إلى العالم واختياره للنبوة ومروره بحياة قاسية ومزقة لأجر نشر رسالة الله إلا أن يكون معجزة.

إن كل معجزات النبي الكريم (صلهم) محفوظة في التاريخ كما شهد عليها القرآن الكريم.

اقتراب النجوم

كانت فاطمة بنت عبد الله، أم عثمان بن العاص، موجودة عند آمنة وقت ولادة النبي ﷺ. ويوم انولد، شافت إن البيت كله امتلأ نور، والنجوم قربت وايد لدرجة إنها حست كأنها بتطيح على الأرض.

(المصدر: دلائل النبوة للبيهقي، الخصائص الكبرى للسيوطي، السيرة الحلبية)

القمر في المهد

يقول العباس رضي الله عنه بن عبد المطلب: في صغر النبي ﷺ، وهو في المهد، كان يشير بإصبعه للقمر، وكان القمر يميل لهالجهة. وقال النبي ﷺ: كنت أتكلم ويا القمر، والقمر كان يتكلم وياي-

(المصدر: دلائل النبوة للبيهقي، الخصائص الكبرى للسيوطي)

حليمة المرضعة

قبل ولادة النبي ﷺ كان في مكة قحط. جاءت حليمة السعدية رضي الله عنها من بني سعد إلى مكة مع نساء من قبيلتها. وكان معها طفلها الرضيع عبد الله، وزوجها، وناقة. ولم تكن احتياجات الطفل الغذائية تُلبّى من لبن الأم الضعيفة والناقة النحيفة.

وعندما جاء النبي ﷺ في حضن حليمة، استيقظ حظها. فأصبح صدرها الجاف ينبوعًا من اللبن، ودبت القوة في الناقة النحيفة، وامتلأت ضروعها باللبن. فشرب الزوجان من لبن الناقة حتى شبعا. وكانت الناقة تسير متقدمة على جميع دواب القافلة.

وكانت النساء المرافقات يتعجبن ويسألن:

يا ابنة أبي ذؤيب! أهذه هي نفس الدابة؟

فأجابت حليمة:

والله! الدابة هي نفسها، ولكن الراكب قد تغيّر.

(المصدر: السيرة النبوية لابن هشام، الطبقات الكبرى لابن سعد، مسند أحمد.)

غريبان

عندما كان عمر الرسول الصغير سنتين أعادته حليمة إله أمه في مكة. وانتشر في مكة هذه الأيام وباء فاقترحت حليمة أن يبقى محمد الصغير معها لبعض الوقت لحمايته من خطر العدوى بهذا المرض. وافقت آمنة على الاقتراح وعادت حليمة بالرسول الصغير إلى المنزل مرة أخرى.

وفي يوم من الأيام كان الرسول الصغير يرعى الغنم مع عبد الله أخيه بالرضاعة عندما ذهب عبد الله جريا إلى والدته قائلا: "تعالي، أسرعي، هناك غريبان قد أخذا أخي القرشي معهما. " أسرعت حليمة وزوجها إلى المرعى ووجدا محمدا الصغير واقفا هناك بتعبير غريب على وجهه. أخذته حليمة في حضنها. وروى لها أن رجلان يرتديان ثيابا بيض أتوا إليه وأرقداه على الأرض. ثم فتح أحدهما صدري وأخرج قلبي وأخرج منه كتلة دم سوداء صغيرة. ثم أتى الرجل الآخر بوعاء فضي مليئ بالماء في يده وغسل قلبي واضعا إياه في صحن وأغلقه بختم وأعاده إلى صدري وقام بخياطته.

فحصته حليمة وزوجها بفضول وتبادلا النظرات حيث أنهما لم يريا أي دم على الرداء ولم تكن هناك أي علامات على الجسم.

(المصدر: صحيح مسلم (كتاب الإيمان – حديث شق الصدر)، مسند أحمد، دلائل النبوة للبيهقي، السيرة النبوية لابن هشام.)

****

من وجهة النظر الروحانية هناك عقلان يعملان في كل شخص. عندما يولد شخص إلى هذا العالم تبدأ الحواس المادية في السيطرة عليه تدريجيا

ثم تصبح هي المسيطرة تماما بحيث يفشل في رؤية الغيب. وتشير أحداث طفولة الرسول إلى أنه كان قادرا على رؤية الغيب حتى في طفولته لأن رؤية جبريل وجراحة القلب وإخرجه في صحن وغسله وإغلاقه بختم وخياطة الصدر بعد إعادة القلب إليه ليست إلا أشياء غيبية. وأبرز م افي هذا الحدث هو غياب أي بقع دم وفشل حليمة وزوجها وطفلها في رؤية علامات أي عملية جراحية. يشير هذا ضمنيا، بوضوح، إلى أن النبي الكريم (ﷺ) كانت لديه ملكية عقلية تمكنه من رؤية الغيب الذي لا يمكن لشخص عادي أن يراه حتى في طفولته.

سحب غيماء

نصحت حليمة السعدية الأطفال مرة، عندما رأتهم يلعبون تحت الشمس، باللعب في الظل والعناية بأخيهم في الرضاعة. فقالت أخت الرسول الصغير في الرضاعة: "أمي، أخي القرشي محمي من الشمس لأن السحب تحوم حوله لتوفر له ظلا. إن السحب تتحرك معه؛ تتحرك معه عندما يمشي وعندما يقف تتوقف السحابة أيضا. "

(المصدر: دلائل النبوة للبيهقي، الخصائص الكبرى للسيوطي، السيرة الحلبية-)

"اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ." (سورة 30، آية 48)

وسيلة المطر

عندما كانت مكة تعاني من المجامعة بسبب الجفاف الطويل والجو الجاف طلب الناس من أبو طالب أن يصلي من أجل المطر. كانت معاناة الأطفال بسبب المجاعة لا تحتمل. فأخذ أبو طالب الرسول الصغير معه وأتي الكعبة وصلى من أجل المطر بسبب معاناة الأطفال تحديدا. لم يطل الأمر قبل أن يبدأ المطر بغزارة ليسقي عطش الأرض. اعتاد أبو طالب أن يتلو مقطعا يعني: "الوجه الجميل الذي يستجلب المطر. "

(المصدر: ديوان أبي طالب، السيرة النبوية لابن هشام، دلائل النبوة للبيهقي-)

الأشجار الساجدة

زار محمد، عندما كان عمره اثنا عشر عاما، البصرة مع أبو طالب، وقابلا راهبا يسمى بحيرى الذي قال، عندما ضم يد الرسول الصغير، أن الله جعله رحمة للعالمين. لم يستطع أبو طالب إلا أن يسأله مندهشا عم جعله يقول أن ابن أخيه رحمة للعالمية. كيف أمكنه أن يقول ذلك؟

قال الراهب بحيرى: "عندما دخلتم الوادي لم يبق شيء لم ينحني ساجدا احتراما لهذا الشاب محمد (ﷺ). "

(المصدر: سنن الترمذي (كتاب المناقب)، مسند أحمد، دلائل النبوة للبيهقي، السيرة النبوية لابن هشام-)

شجرة الأنبياء

كان محمد (ﷺ) معروفا بالصديق والأمين بسبب صدقه وأمانته. كانت خديجة واحدة من التاجرات المعروفات في مكة. وطلبت من محمد أن يأخذ بضائعها إلى سورية. كما رافقه عبدها ميسرة. وفي البصرة وقفت القافلة قريبا من دير الراهب نسطور. فأتي نسطور ميسرة وسأله عن مرافقه. فأخبره ميسرة أنه محمد من عائلة بني هاشم المعروفة ويقيم في مكة وأنه معروف بالأمين والصديق.

قال نسطور لميسرة أنه لا أحد إلى الأنبياء قد جلس من قبل تحت الشجرة التي يرتاح تحتها محمد الآن وأنه متأكد من أنه نفس الشخص الكريم الذي تنبأ به العهدان القدين والجديد حيث أنه رأى فيه كل هذه العلامات التي ذكرت في كل الكتب المقدسة عن آخر رسل الله.

(المصدر: السيرة النبوية لابن هشام، الطبقات الكبرى لابن سعد، دلائل النبوة للبيهقي)

****

إن للوجود المادي للإنسان غلافين من الأنوار يحيطان به، وتجري في هذين الغلافين تيارات كهربائية باستمرار؛ حيث تكون الشحنات الموجبة في أحد الغلافين، والسالبة في الآخر. ومن تدفق هذه الأنوار تتكوّن الحواس.

وللحواس مستويان: أحدهما يمثل الحركة الذهنية للفرد، والآخر يربط هذه الحركة الذهنية بالنظام الكوني.

وتظل الحواس في حالة انقسام دائم؛ فمن جهة يؤدي هذا الانقسام إلى تكوين أعضاء الجسد، ومن جهة أخرى تتشكل القدرات الخاصة بهذه الأعضاء. وتعمل هذه القسمة نفسها في الفعالية الجسدية؛ فالعين والأذن والأنف واللسان والقدم هي مظاهر لتقسيم الحواس، بينما

الإبصار والسمع والشم والذوق والحركة تمثل وظائف هذه الأعضاء. أما الحركات التي تقع في الحواس فهي حركات ماورائية تستمر بصورة متواصلة.

وتتحرك اللحظات على مستويين في آنٍ واحد؛ ففي أحد المستويات تكون الحركة منفصلة في كل شيء من أشياء الكون، وهذه الحركة تُنشئ الوعي الذي يُظهر الشيء في دائرة وجوده الفردي.

أما المستوى الآخر من الحركة فهو جارٍ في جميع مكونات الكون في آنٍ واحد، فإذا تمكن الإنسان من إدراك هذا المستوى—وذلك ممكن من خلال الرياضة والمجاهدة والمراقبة—تنكشف له الجوانب الخفية من الكون. وقد استطاع الراهب بحيرى والراهب نسطور، اللذان عاشا في عزلة ضمن نظام الرهبنة، أن يطوّرا في أنفسهما هذه القدرة، مما مكّنهما من إدراك بعض خفايا الغيب. وعلى أساس هذه الملكة الإدراكية عبّر بحيرى ونسطور عن مشاهداتهما المتعلقة بسيدنا حضور عليه الصلاة والسلام.

ملحوظة : لا يُجيز الإسلام نظام الرهبنة، «لا رهبانية في الإسلام.»

تبت يدا

كان أبو لهب وزوجته أم جميل عم وعمة النبي الكريم (ﷺ). وعندما كان النبي الكريم (ﷺ) يبشر بالإسلام علنا كان أبو طالب بتهمه بالجنون ويحث المستمعين على عدم الاستماع إليه. وكانت زوجته تجمع الحطب لتضعها على طرق النبي الكريم (ﷺ). ونزلت في ذلك سورة اللهب؛ السورة 111 من القرآن الكريم.

"تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ. مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ. سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ. وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ."

عندما سمعت بأنها أدينت بهذا الحكم أتت توبخ النبي الكريم (ﷺ). كان النبي الكريم (ﷺ) يجلس في الكعبة مع رفيقه أبو بكر (رضي الله عنه). فأتت أبو بكر (رضي الله عنه) وسألته: "أين صاحبك؟ لقد أتيت لأعرف أنه يتلو مقاطع ضدي. سأضرب هذا الوجه بهذه الأحجار إذا وجدته. "وغادرت بعد أن أثارت زوبعة. سأل أبو بكر (رضي الله عنه) المذهول النبي الكريم (ﷺ) كيف لم ترك. رد النبي الكريم (ﷺ): "لقد أوقف الله بصرها في هذا الاتجاه للحظة."

(المصدر: دلائل النبوة للبيهقي، السيرة النبوية لابن هشام)

كان الاسم الكقيقي لأبي لهب هو عبد العزى. كان أبيضا وكان يحمر عندما يغضب أو تجيش مشاعره ولهذا سمي بأبي لهب. كان أمين صندوق اللجنة المسؤولة عن شؤون الكعبة المكرمة. كانت هذه اللجنة هي حافظة كل التجميعات التي يتم استلامها في الكعربة المكرمة والتي كان يفترض أن يتم إنفاقها على المعوزين والفقراء وترتيبات الحجاج الآتين إليها. إلا أنه كان الجزء الأكبر منها يذهب عمليا إلى حسابه الخاص. وعند سماع دعوة الإسلام خشي أن يتم حرمانه من كل هذه المميزات والتشريفات والفرص لاختلاس أموال الكعبة. لذا فقد اختار أن يعادي وعظ النبي الكريم(ﷺ) وامتاز في عدائه. وقد تنبأت هذه السورة من القرآن بانتهاء السيرة السياسية لهذا العدو الأقوى للنبي الكريم (ﷺ)، الأمر الذي تم بعد ذلك حرفيا. فقد عاني بعد معركة بدر من الجدري ولم يمرضه ابنه وعائلته وأقاربه بشكل ملائم خوفا من العودةى ومات في هذه الحالة من الحجز حتى إن جسمه ظل راقدا لأيام دون دفن. وأخيرا، وبسبب نميمة العامة، أجر ابنه بعض العمال لرمي جثته في خندق شمال مكة ورشقه بالحجارة لتغطيته. (المصدر: السيرة النبوية لابن هشام، الطبقات الكبرى لابن سعد)

كانت أم جميل امرأة جميلة جدا تشغل منصب السيدة الأولى. ووفقا لهذه السورة من القرآن الكريم ستلبس هذه المرأة، التي اعتادت على لبس أعقاد قيمة بلآلئ وأحجار كريمة، حول عنقها حبلا ثخينا من سعف النخيل في الآخرى وستحيا فيها خادمة تجمع الخشب. ستكون هذه حالة الإذلال والمهانة التي سيعيش فيها أبو لهب وزوجته التي كانت شريكة زوجها في تعذيب الصحابة المؤمنين والنبي الكريم (ﷺ) بسبب عدائهم وحدتهم ضده وضد تعاليمه.

(المصدر: تفسير الطبري، تفسير ابن كثير)

قاب قوسين أو أدنى

"سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ." (سورة بني إسرائيل؛ الإسراء)

في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، كان سيدنا محمد ﷺ في بيت ابنة عمه أم هانئ رضي الله عنها، فشُقَّ سقف البيت، فرأى جبريل عليه السلام قد نزل ومعه ملائكة، فأخذ النبي ﷺ إلى بئر زمزم، فشق صدره وأخرج قلبه، فغسله بماء زمزم ثم أعاده إلى مكانه .

(المصدر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق؛ صحيح مسلم، كتاب الإيمان)

ثم ركب ﷺ البراق، وسار إلى بيت المقدس، فدخل المسجد الأقصى، وأمَّ الأنبياء عليهم السلام في الصلاة، ثم قُدِّم إليه إناءان من لبن وخمر، فاختار اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة.

(المصدر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار؛ صحيح مسلم، كتاب الإيمان)

(.وفي رواية: كان ﷺ في الحطيم بجوار الكعبة حين جاءه جبريل عليه السلام)

(المصدر: صحيح البخاري)

ثم عُرج به من بيت المقدس إلى السماوات العلى، فالتقى بالأنبياء عليهم السلام؛ فوجد في السماء الأولى آدم عليه السلام، وفي الثانية عيسى عليه السلام، وفي الثالثة يوسف عليه السلام، وفي الرابعة إدريس عليه السلام، وفي الخامسة هارون عليه السلام، وفي السادسة موسى عليه السلام، وفي السابعة إبراهيم عليه السلام، ورأى البيت المعمور.

(المصدر: صحيح البخاري، صحيح مسلم)

ثم بلغ سدرة المنتهى، وكان جبريل عليه السلام معه إلى هذا الموضع، ثم تقدم النبي ﷺ، فسبّح ربَّه وقدّسه، وشاهد من آيات ربه الكبرى.

(المصدر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان؛ تفسير ابن كثير)

"مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى." (سورة النجم)

وأثناء رحلة معراجه بارك الله النبي الكريم (ﷺ) بأفضاله. ووصف مفسرو القرآن الكريم ثلاثة تحديدا من أفضال الله التي منحت لنبي الكريم (ﷺ) أثناء معراجه.

1. آخر آيات سورة البراق التي تتضمن مبادئ الإسلام المرشدة.
2. وعد الغفران لتابعي محمد ما عدا المشركين.
3. فرض الصلوات الخمس.

"أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا. وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا." (سورة 17، الآيات 78-79)

لقد روي(صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق؛ صحيح مسلم، كتاب الإيمان) أن أثناء معراجه شهد النبي الكريم (ﷺ) عجائب السماوات. لقد زار الجنة كما رأى دركات النار المتعددة. لقد رأى مقاعد الأخيار والأشرار ووراقب مكافآتهم وعقوباتهم على أفعالهم. ونادى ملك الجنة رضوان انبي الكريم (ﷺ) وأخذه في جولة في بساتين وحدائق الجنة. وذلك مذكور في القرآن الكريم:

"وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ." (سورة 9، آية 72)

"مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ." (سورة 13، آية 35)

"جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ." (سورة 35، الآيات 33-34)

"ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ. يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. " (سورة 43، الآيات 70-71)

"إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ. فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ. وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ. يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ. وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ." (سورة 52، الآيات 17-24)

"مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ. " (سورة 47، آية 15)

"إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ. هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِؤُونَ. لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ. سَلامٌ قَوْلا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ." (سورة 36، الآيات 55-58)

"فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا. وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا. مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا. وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا. وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا. قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا. وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلا. عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا. وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا. وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا. عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا. إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا." (سورة76، الآيات 11-22)

"وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.ذَوَاتَا أَفْنَانٍ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.مُدْهَامَّتَانِ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ. فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. " (سورة 55، الآيات 46-78)

يروى أن النبي الكريم (ﷺ) قابل في ليلة معراجه ملك النار كما تجول ليرى معاناة الناس وعقوباتهم على خطاياهم. وقد لاحظ أن:

بعض الناس كانوا يُطعمون لحم أجسادهم. وقد علم أنهم كانوا يغتابون الآخرين وينمون عنهم.

كان هناك أشخاص بشفاه تشبه شفاه الجمال يصب في أفواههم الفحم المحترق. كانوا أشخاصا أكلوا أموال اليتامى.

وكانت بطون المرابين كبيرة لدرجة أنهم لا يستطيعون الحركة وكانت مليئة بالثعابين. كان أحد مقرضي المال يسبح في تيار من الدم عندما حاول الخروج من التيار وعندها بدأ الناس الواقفين على الضفة في رشقه بالحجارة واضطراره إلى التراجع.

أما الذي يكسبون قوتهم بطرق غير عادلة فقد رآهم يأكلون لحما متعفنا ومتحجرا.

(المصدر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق؛ صحيح مسلم، كتاب الإيمان؛ مسند أحمد؛ دلائل النبوة للبيهقي)

كما رأى بضعة أشخاص مقطعة شفاههم وألسنتهم، وكانت عملية قطعها المؤلمة تتم ثانية كلما نمت. قيل للنبي الكريم (ﷺ) أن هؤلاء الوعاظ الذين يعظون بما لا يفعلون.

وشاهد النبي الكريم (ﷺ) ثورا يخرج من صخرة صخيرة. وبعد الخروج منها حاول الدخول مرة أخرى إلى نفس الصخرة. قيل للنبي أن ذلك مثال للشخص الذي يقول أشياء كريهة ولا قبل له بالتراجع عنها.

وقطع النبي الكريم (ﷺ) في رحلة معراجه مسافة آلاف الأميال على الأرض ثم انطلق في رحلة السماوات وقطع ملايين السنوات الضوئية، إلا أنه عندما عاد من رحلته كانت سلسلة الباب تتحرك بالضبط كما كانت تتحرك وقت مغادرته.

(المصدر: دلائل النبوة للبيهقي، تفسير ابن كثير)

وبعد العودة من معراجه روى النبي الكريم (ﷺ) الشهادة الكاملة عن رسحلته لابنة عمه أم هاني التي اقترحت، خوفا من سخرية قريش، أن هذه الحادثة قد لا تكون مرتبطة بالناس. فقال النبي الكريم (ﷺ): "في الواقع سأذكر هذا الحدث أمام الناس. إلهي حقيقي وكل ما رأيتك صدق. "

(المصدر: السيرة النبوية لابن هشام، دلائل النبوة للبيهقي)

وقد سخر المشركون عديمو الرؤية من النبي الكريم (ﷺ) معلنين أن هذه القصة منافية للعقل. وعاد بضعة مسلمين ممن لم يتغلغل الإسلام في قلوبهم إلى إيمانهم الأول. وطلب المشركون من أبي بكر تعليقا حول ادعاء النبي الكريم بزيارة قبة الصخرة في القدس والعودة إلى مكة في نفس الساعة من الليل. كان رد أبي بكر: "إذا كان محمد (ﷺ) يقول ذلك فقد حدث. إنني أومن بأكثر من أن الملائكة يأتون لزيارته."

كان العديد من قريش قد رأوا قبة الصخرة وسألوا أسئلة عن التصميم وتفاصيل تافهة أخرى للمبنى وبناؤه. ظهرت قبة الصخرة أمام عين النبي الكريم (ﷺ) ووصف كل تفاصيلها تاركا المشركين في حيرة. سأل أحد الزعماء سؤالا حول موقع قوافل تجارتهم. وأعطاهم النبي الكريم (ﷺ) مواقع ثلاث قوافل تجارة في طريقها عائدة إلى مكة من القدس. وتم إرسال بضعة أشخاص إلى وادي بزة للتحقق من الموقع المذكور لقافلة التجارة الأقرب إلى مكة. كان عليهم أن يؤكدوا الموقع عندما رأوا القافلة حيث قيل أنها موجودة. كما عادت القافلتان الأخريان في مواعيدهما وأكدوا أن في تلك الساعة من الوقت كانوا في مكان كذا وكذا.

من الملائم هنا الخوض في التفسير الشهير للمفسرين المسلمين حول ما يسمى بهدية الصلوات الخمسين المفروضة على المسلمين للنبي الكريب (ﷺ) التي منحه إياها الرب، وفقا لهم، أثناء لقائه مع الرسول في معراجه. إنهم يقولون أن الله زايد عليه أن يخبر أتباعه أن يصلوا خمسين مرة في اليوم وفي طريق عودته اقترح عليه موسى أن هذا أكثر من المعقول بالنسبة لأتباعه لذا ينبغي عليه أن يعود إلى الله ويلتمس بعض التقليل في الهدية. عاد النبي الكريم (ﷺ) ليرى الله وطلب منه تقليل عدد الصلوات فقبل الله تضرعات نبيه الحبيب وقللهم إلى أربعين. فقال موسى للنبي الكريم (ﷺ) أن هذا ليس كافيا. فعاد النبي الكريم (ﷺ) ثانية إلى الله ليلتمس تقليل الصلوات لأتباعه. فقلل الله عددهم بكرمه الجزيل إلى ثلاثين. فقال له موسى أن أتباعه لن يتمكنوا من الصلاة ثلاثين مرة في اليوم لذا ينبغي عليه أن يعود ويطلب المزيد من التقليل. وهكذا قلل الله عدد مرات الصلاة إلى خمسة في المرة الخامسة. وكان موسى ما زال يرى أن هذا أكثر مما يمكن لأتباعه فعله.

يرتبط هذا الحدث تقليديا بسياق معراج النبي الكريم (ﷺ). أود أنا، خواجة شمس الدين، مؤلف هذا الكتاب، أن أوح أن هذا الحدث ذو صلة كمحاولة لإرساء تفوق موسى على النبي الكريم (ﷺ) بينما يستمتع النبي الكريم (ﷺ) بالموقع المجيد لرؤية الله من مسافة قاب قوسين أو أدنى ويشهد القرآن على هذا الحدث قائلا: "مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى. " (سورة النجم)

حقيقي أن موسى نبي محترم من الله ومُنح كتاب العهد القديم إلا أن الله نفسه يصرح قائلا: "تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ. "

هذا التفسير هو تفسير غريب؛ أن النبي الكريم (ﷺ)، وهو آخر أنبياء اللخ والذي أكمل دينه حتى المثالية، يتم إرشاده وتوجيهه من قبل نبي أقل منه في الرتبة بتسع مواقع. فموسى، وهو نبي جليل من الله، يتموقع في السماء السادسة والنبي الكريم (ﷺ) يرى الله فيما بعد المقام المحمود بكل عظمته وفخامته وتخاطب معه من مسافة أدنى من قوسين. فوق السماء السادسة تأتي السماء السابعة والعرش والبيت المعمور وموقع سدرة المنتهى؛ واجهة وصول الملائكة الأخيرة والحجاب الأعظم ثم الحجاب الكبير والحجاب المحمود. وأخيرا رأى الإله الخالق في المقام

المحمود حيث لم يصل نبي لله من قبله. من المحير جدا أن يجهد نبي بهذه الدرجة من المجد بالمشي بين كل هذه المواقع خمس مرات بتوصية من نبي أقل منه بتسع مواقع. ليغفر لي الله ولذريتي. ليس هذا إلا نهج صهيوني هدف إلى تقليل مكانة النبي الكريم (ﷺ).

لا يمكن لأي إنسان أن يرفع أو يقلل من مجد أي نبي إلا أنه من المهم أن نفهم بشكل واضح أنه كان من الممكن أن يرشد موسى ويوجه النبي الكريم (ﷺ) الذي توقعت كل الكتب المقدسة بما فيها العهد القديم مجيئه.

يعمل داخل الإنسان **تريليونات** من المولدات الدقيقة، وهذه المولدات تتغذّى من أربع قنوات نورانية؛ فإحداها مصدرها العرش، والثانية مستودعها حجاب العظمة، والثالثة منبعها حجاب الكبرياء، والرابعة مصدرها حجاب المحمود. وبين الذات والذات الكلية حجابٌ من التجلي، ومن خلاله تتلقى التصورات الكلية إلى محمد رسول الله ﷺ، ويتم هذا التلقي عبر أربع قنوات: نهر التسويد، ونهر التجريد، ونهر التشهيد، ونهر التظهير.

وتمتد حدود نهر التسويد إلى عالم اللاهوت، ونهر التجريد إلى عالم الجبروت، ونهر التشهيد إلى عالم الملكوت، ونهر التظهير إلى عالم الناسوت. ففي عالم اللاهوت يتمركز العلم الإلهي في صورة الغيب، وفي عالم الجبروت توجد ماهية الكون والأساس الغيبي الذي تقوم عليه هذه الماهية. وعندما يتنزل عالم الجبروت ضمن حدوده يُسمّى عالم الملكوت، وإذا تنزل عالم الملكوت أكثر يصبح العالم المحسوس، وهو عالم الناسوت أو عالم الدنيا.

والعلم نوعان: علم حضوري وعلم حصولي.

وللعلم الحضوري نوعان: غيب الغيب والغيب، ويُعبَّر عنهما بعلم القلم وعلم اللوح. والعلم الحضوري هو مجموع الإدراك الصفاتي للكون، وسيدنا محمد ﷺ عارفٌ وأمينٌ على غيب الغيب، والغيب، وعلم القلم، وعلم اللوح.

وتُختزن التمثلات النورانية لهذه القنوات الأربع في باطن سيدنا محمد ﷺ، وبسبب هذا المخزون النوراني بلغت قوة حركته في رحلة المعراج حدًّا تحرر فيه جسده المبارك من قيود الزمان والمكان، فسار بسرعةٍ تفوق سرعة الضوء حتى بلغ مقام محمود. "وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى. وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى. أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى. عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى." (سورة 53، الآيات 1-18)

إذا قلنا أن المسافة بين الأرض والشمس، كما يقول العلماء، 90 مليون ميلا فهذا يعني أن النبي الكريم (ﷺ) قطع مسافة 1,440 مليون ميل ليصل إلى ذروة رحلته ثم قطع نفس المسافة مرة ثانية ليعود. يعني هذا السفر بسرعة 2,880 مليون ميل في غمضة عين.

في الوقت الحاضر أعظم اهتمامات العلم الحديث هو التحكم في السرعة القصوى من خلال نفي الزمن المتضمن، ويبني صرح تقدم العلم العظيم بأكمله على تحقيق السرعة القصوى ونفي الزمن لكن لن يتمكن إنسان أبدا من أن تكون له سرعة الطيران التي كانت للنبي الكريم (ﷺ).

ليلة الهجرة

في الليلة التي هاجر فيها النبي الكريم (ﷺ) من مكة إلى المدينة كان هناك مسلحون من قريش قد حاصروا منزله وكانوا ينتظرون أن ينام. كانت في حوزة النبي الكريم (ﷺ) أشياء قيمة أُمِّن عليها. فأمر عليا، الذي صدف أنه كان هناك، أن يأخذ شاله وينام في سريره ويعيد هذه الأمانات في الصباح ويلحق به في المدينة. أخذ النبي الكريم (ﷺ) حفنة من التراب وقرأ الآية التالية من سورة يس ونفخ في ذلك التراب ورماه تجاه مسلحي مكة المشركين.

"وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ"

(سورة 36، آية 9)

تلا رسولُ الله ﷺ الآيةَ، وأخذ قبضةً من التراب فرماها نحوَ فتيانِ قريشٍ المسلّحين، فجعل الله على أبصارهم غشاوةً فلم يبصروه، فمرَّ النبي ﷺ من بينهم.

المصدر: السيرة النبوية لابن هشام، دلائل النبوة للبيهقي؛)

(إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، يس: 9

ويُروى أنه في ليلة الهجرة، لما اقترب المطاردون من غار ثور، نبتت شجرةُ سَمُرٍ على باب الغار، فمدّت أغصانها حتى غطّت المدخل، وجاءت حمامتان فعشّشتا عنده ووضعتا بيضهما، ونسجت العنكبوتُ على فم الغار نسيجًا.

(المصدر: السيرة النبوية لابن هشام، دلائل النبوة للبيهقي)

والعنكبوتُ تبني بيتَها من خيوطٍ دقيقة، ويتكوّن كلُّ خيطٍ من أربعة خيوطٍ أدقّ، وكلُّ خيطٍ دقيقٍ يتركب من آلاف الشعيرات، فيكون الخيط الواحد مركّبًا من آلاف الخيوط. ويخرج من جسم العنكبوت عددٌ كبير من القنوات الدقيقة، يخرج من كلٍّ منها خيط، ثم تتجمع هذه الخيوط في فتحاتٍ خاصة فتكوّن خيطًا واحدًا متماسكًا، ثم تلتقي في قناةٍ واحدة في طرف الجسم لتخرج في صورة خيطٍ متكامل.

وتفرز العنكبوت مادةً لاصقةً تثبّت بها خيوطها، وتبني من خلالها بيتًا يبدو ضعيفًا، ولكنه مع ذلك يقاوم الرياح والعواصف. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ (سورة العنكبوت، آية 41)

ويكون نسيج العنكبوت غالبًا على هيئةٍ هندسية دقيقة، وتتنقّل العنكبوت على خيوطه مرارًا لإحكامه، حتى يصبح قادرًا على حمل أوزانٍ تفوق وزنها بعدة مرات. وللعنكبوت خصائصُ متعددة، منها قدرته على الصبر على الجوع مدةً طويلة، وامتلاكه عددًا من العيون، وإنتاجه عددًا كبيرًا من البيوض التي يغلفها بخيوطٍ حريرية دقيقة. تستطيع العنكبوت أن تُخرج خيوطًا بألوانٍ مختلفة بحسب الحاجة، ويكون كلُّ خيطٍ أدقَّ من خيط الحرير بتسع مرات.
وقد ورد ذكر العنكبوت في القرآن الكريم:
﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

(سورة العنكبوت: 41)

كما قال تعالى:

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾

(سورة العنكبوت: 43)

إنَّ الأشياء التي تبدو في ظاهرها بسيطةً وحقيرةً قد أودع الله فيها من الحكمة، والعلم، ودقة الصنعة ما يُدهش العقول.

وقد ورد في القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

(سورة البقرة: 30)

أي إنَّ الإنسان جُعل خليفةً في الأرض، يتصرف فيها بإذن الله، وسُخِّرت له عناصرها وموجوداتها ضمن هذا التصرف. وإن إلقاء النبي ﷺ قبضةً من التراب يوم الهجرة، وما ترتب عليه من حجب أبصار الأعداء، يدل على تصرّفٍ بإذن الله في عناصر الأرض.

(المصدر: السيرة النبوية لابن هشام، دلائل النبوة للبيهقي)

ولما دخل النبي ﷺ غار ثور، كان من مقتضى الحفظ الإلهي أن لا تقع عليه أعين الأعداء، فكانت المخلوقات المرتبطة بعناصر الأرض—كالشجر والطيور—جزءًا من هذا التدبير، فظهرت الشجرة، وعشّش الحمام، ونسجت العنكبوت نسيجها.

(المصدر: السيرة النبوية لابن هشام، دلائل النبوة للبيهقي)

ولما علَّم الله آدم عليه السلام الأسماء كلها، دلّ ذلك على منحه علم الصفات والقدرة على التصرّف بإذن الله، بصفته خليفةً في الأرض. وسيدنا محمد ﷺ، بكونه خاتم الأنبياء وأمين علم الأسماء، ظهرت على يديه هذه التجليات في عالم التكوين بإذن الله تعالى.

زعيمان

أتى وفد من قبيلة بني عامر إلى المدينة لرؤية النبي الكريم (ﷺ). كما أتى مع الوفد اثنان من زعماء القبيلة؛ عامر بن طفيل وأربد بن قيس الذين كانا يكنان ضغينة للنبي الكريم (ﷺ). أراد الاثنان أن يريا النبي الكريم (ﷺ) على انفراد حتى يتسنى لهما مهاجمته. رفض النبي الكريم (ﷺ) أن يراهما وحده. فاستمرا يصران واستمرت معرفة نيتهما في رفض طلبهما. عندما لم يرضخ النبي الكريم (ﷺ) لمطلبهما لم ستطع عامر إلا أن يعلن في إحباط: "والله لأملأن هذا الوادي خيلا ورجالا لأقضي عليك." وعندما غادر بعد تهديد النبي الكريم (ﷺ) بالعواقب الوخيمة دعا النبي الكريم (ﷺ) الله قائلا: "أنت تكفيني عامر بن طفيل."

مرض عامر بن طفيل بالطاعون أثناء عودته ومات به. أما أربد بن قيس الذي ذهب لبيع جمله فضربته صاعقة قتلته وقتلت جمله في الحال.

نَظَرُ الرَّجُلِ الحَقِّ العارف

في غزوة حُنين، رأى شيبةُ بنُ عثمان—وكان يومئذٍ لم يُسلِم بعد—النبيَّ ﷺ منفردًا، فتذكّر أباه وعمَّه اللذين قُتلا على يد المسلمين، فقال في نفسه: هذه فرصةٌ للانتقام.

فأراد أن يهجم على النبي ﷺ من جهة اليمين، فرأى العباس رضي الله عنه قائمًا إلى يمينه، فانصرف. ثم قصد الجهة اليسرى، فلما اقترب رأى أبا سفيان بن الحارث رضي الله عنه إلى يساره، فتراجع. ثم همَّ أن يهاجمه من الخلف، فإذا بلهيب نارٍ يتوسط بينه وبينه، فأبهر بصره وخاف أن يُعميه، فوضع يده على عينيه ورجع القهقرى.

وكان النبي ﷺ واقفًا في سكينةٍ وطمأنينة، يراقب ما يفعل شيبة. فلما رآه يرجع، ناداه: «يا شيبة، يا شيبة، ادنُ مني». ثم دعا له قائلاً: «اللهم اصرف عن شيبة الشيطان.«

فلما نظر شيبة إلى النبي ﷺ تبدّل حاله، وأصبح أحبَّ إليه من نفسه، فأسلم قلبه وانقلبت عداوته محبةً.

(المصدر: السيرة النبوية لابن هشام، الطبقات الكبرى لابن سعد، دلائل النبوة للبيهقي)

.

شق القمر إلى جزئين

كانت السنة الثامنة لإعلان النبوة على يد النبي الكريم (ﷺ) عندما أتى أبو جهل مع حبر يهودي وبضعة أشخاص آخرين لرؤية النبي الكريم (ﷺ) وقال ملوحا بسيفه: "أتى الأنبياء قبلك بمعجزات لذا عليك أنت أيضا أن تأتي بمعجزة. " سأله النبي الكريم (ﷺ) بطريقة مهذبة: "هذ ستؤمن بعد شهود معجزة؟ أخبرني ماذا تريد أن ترى."

كان أبو جهل ما زال يبحث في رأسه عن إجابة ما عندما قال الحبر اليهودي: "لا يمكن للشعوذة أن تؤثر على السماء!"

فأخذ أبو جهل زمام الأمر ونظر إلى السماء فوجد القمر الكامل يسطع ببريقه فطلب من النبي الكريم (ﷺ) أن يشق القمر بحيث يأتي أحد شقيه فوق جبل أبي قيس والآخر فوق جبل قيقعان.

أشار النبي بسبابته إلى القمر فانشق إلى نصفين. بقي أحد النصفين فوق جبل أبي قيس وتموقع الآخر فوق جبل قيقعان.

بعد قليل رفع النبي الكريم (ﷺ) سبابته نحو السماء فتجمع نصفا القمر في موقعه الأساسي. وبشهود هذه المعجزة سلم الحبر اليهودي للإيمان واعتنق الإسلام إلا أن أبا جهل ظل عنيدا وقال: "لقد ثبتنا محمد باستخدام رقيته. " وفيما بعد شهد العديد من مسافري القوافل المسافرين في الصحراء على هذا الحدث أيضا.

يُعَدُّ القمرُ أقربَ الأجرامِ السماوية إلى الأرض، إذ تبلغ المسافةُ بينهما نحو مئتين وأربعين ألف ميل، ويبلغ قطرُ القمر قرابة ألفين ومئة ميل. وتُقدَّر كتلةُ القمر بأنها أقلُّ من كتلة الأرض بنحو ثمانين مرة، في حين أن جاذبية الأرض تعادل ستة أضعاف جاذبية القمر.

وقد قدّر العلماء أن القمر والأرض كانا أقرب إلى بعضهما قبل نحو خمسة مليارات سنة، وكان دوران الأرض حول محورها يستغرق أربع

ساعات وخمسًا وأربعين دقيقة، ثم أصبح اليوم أربعًا وعشرين ساعة.

ويمرّ القمر خلال دورانه حول الأرض بمراحل متعددة؛ ففي بدايات الشهر يُرى الهلال، ثم يزداد الجزء المضيء تدريجيًا حتى يكتمل، ثم يبدأ في التناقص حتى يختفي، وتستغرق هذه الدورة نحو تسعةٍ وعشرين يومًا ونصف، ثم يظهر الهلال من جديد في الأفق الغربي.

وقد أظهرت الصور الملتقطة بواسطة الأقمار الصناعية أن سطح القمر يتكوّن في معظمه من جبال، وأن البقع الداكنة التي تُرى بالعين المجردة ما هي إلا سهول منخفضة لا تعكس الضوء كما تفعل المناطق المرتفعة.

وخلال مهمات أبولو، وفي مايو 1967، التُقطت صورٌ لسطح القمر من ارتفاع ثلاثة آلاف كيلومتر بواسطة المركبة(Orbiter-4) ، وأظهرت هذه الصور شقوقًا يصل طولها إلى مئتين وأربعين كيلومترًا، وعرضها في بعض المواضع إلى ثمانية كيلومترات.

وتؤثر جاذبية القمر في ظاهرة المدّ والجزر في البحار، كما أن القمر أصغر من الشمس بنحو أربعمائة مرة. وعند وقوع القمر بين الأرض والشمس يحدث كسوف الشمس، أما عند وقوع الأرض بين الشمس والقمر فيحدث خسوف القمر.

أما القمر كما يُرى بالعين الروحانية فيختلف عما تُظهره التلسكوبات؛ إذ يُرى أن فيه جبالًا وبحيراتٍ وبركًا وصحارى، وأن مياه هذه البحيرات يغلب عليها عنصر الزئبق فتبدو لامعة كالمعدن. كما يُرى أن مخلوقاتٍ من الجن تتردد عليه.

ويُوصَف هواء القمر بأن له رائحة تشبه رائحة اللحام، ويشعر الإنسان عند السير عليه بخفةٍ ولطافةٍ في جسده، كأنه قادرٌ على الطيران، مع بقاء طبيعته الصلبة. ولا توجد على القمر حياةٌ مستقرة، بل هو موضعٌ يمكن أن يصل إليه الجسد المثالي. ولا يستطيع الإنسان الوصول إليه إلا إذا أدرك الجسد المثالي وتمكّن من الحركة به بإرادته.

الشمس التابعة

كان النبي ﷺ في موضعٍ يُقال له الصهباء، على مسافة مرحلةٍ من خيبر، وكان مستلقيًا واضعًا رأسه في حجر عليٍّ رضي الله عنه، فغابت الشمس. فسأل النبي ﷺ عليًا: «يا علي، أصليتَ العصر؟» فسكت عليٌّ. فدعا النبي ﷺ ربَّه قائلاً: «اللهم إن عليًّا كان في طاعتك وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس.«

فَرُدَّتِ الشمسُ بعد غروبها، وانتشر ضوؤها على الأرض حتى صلّى عليٌّ رضي الله عنه العصر.

(المصدر: مسند أحمد، الطبراني في المعجم الكبير، دلائل النبوة للبيهقي، الخصائص الكبرى للسيوطي)

كانت الشمس تعبد في العصور القديمة. سماها المصريون رع وسماها الإغريق هليوس وكانت سول بالنسبة للرومان.

تقع الشمس، وهي واحدة من النجوم متوسطة الحجم في مجرتنا، بين حلزونين لفافين في ثلثي المسافة من مركز المجرة. هناك عشرون مجرة أخرى قرب مجرتنا التي سميت بدرب التبانة الحلزوني. ويقال أن الكون يعود إلى حوالي خمسة عشر إلى عشرين بليون سنة. ويقدر عدد المجرات في الكون بأكمله بمائة مليون مجرة بكل منها مائة بليون نجم.

يتفق العلماء على أن المادة الأساسية في تكوين الكون تتكوّن من ذرات الهيدروجين، وقد قدّر علماء الفلك اتساع الكون بنحو خمسة عشر مليار سنةٍ ضوئية. وتبلغ سرعة الضوء نحو ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية، والمسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة تُسمّى سنةً ضوئية. ويقع الشمس على بُعد نحو ثلاثين ألف سنةٍ ضوئية من مركز مجرة درب التبانة.(Milky Way Galaxy)

ووفقًا للنظريات القديمة، كانت الأرض تُعدّ مركز الكون؛ فقد اعتقد أهل بابل أن الأرض قرصٌ مسطّح تحيط به المياه من جميع الجهات، وأن السماء كوعاءٍ مقلوب فوقها، وأن الشمس والقمر والنجوم تدور حول الأرض.

أما الفلاسفة اليونانيون فكانوا يرون أن السماء تُحيط بالأرض ككرةٍ مجوّفة، وأن النجوم مثبتة فيها كالجواهر، وأن السماء تدور حول محورٍ مغروسٍ في مركز الأرض، وتتحرك يوميًا نحو الغرب.

وبعد سقوط الإمبراطورية الرومانية، ازدهرت عند المسلمين علوم الفلك والرياضيات، فتمكنوا من حساب حركات النجوم بدقة، وأقاموا المراصد الفلكية، غير أنهم لم يتمكنوا من تغيير التصورات القديمة المتعلقة ببنية الكون بشكلٍ كامل.

في ضوء الأبحاث الحديثة، فإن صورة الكون التي نعرفها اليوم تختلف كثيرًا عمّا كان يُتصوَّر في العصور القديمة والقرون الوسطى. وبما أن البحث والتفكّر لا يزالان مستمرين، فمن المتوقع أن تتغير صورة الكون في المستقبل عمّا هي عليه اليوم.

ومن أساسيات علم الفلك أن الكواكب تدور حول النجوم؛ فالنجوم تضيء بذاتها، بينما تُرى الكواكب بسبب انعكاس الضوء عليها.

وقد عُرِّفت الكواكب بأنها أجرام باردة، في حين أن الشمس، ومعها كواكبها التسعة المعروفة وأقمارها، وأكثر من ألفٍ وخمسمائة كويكب، وعدد لا يُحصى من المذنبات والشهب، تدور جميعها حول مركز مجرة درب التبانة، وتستغرق دورة كاملة نحو مئتي مليون سنة.

ونظرًا لأن الشمس تتكوّن من غازات، فإن حركتها حول محورها ليست متساوية؛ فهي تتم دورة كاملة عند خط الاستواء خلال سبعةٍ وعشرين يومًا، بينما تستغرق عند القطبين أربعةً وثلاثين يومًا. كما أن الكواكب تدور حول الشمس في مداراتٍ إهليلجية.(Elliptical Orbits)

قدّر العلماء أن قطر سطح الشمس يزيد على ثمانمائة وستين ألف ميل، وتبلغ درجة حرارتها نحو ستة آلاف درجة مئوية. وقد كشفت المراصد الفلكية بواسطة التلسكوبات عن وجود بقعٍ على سطح الشمس، تظهر بكثرةٍ في دوراتٍ تمتد في المتوسط إلى أحد عشر عامًا. ويُسمّى الجزء المركزي من هذه البقع بـ«الأمبرا»، وتبلغ حرارته نحو ستة آلاف وأربعمائة درجة فهرنهايت، بينما تكون المناطق المحيطة أقلَّ ظلمةً، وتصل حرارة الغازات البيضاء فيها إلى أحد عشر ألف درجة فهرنهايت، وهي مناطق ذات نشاطٍ مغناطيسي شديد.

وتندفع الرياح الشمسية، الحاملة لجسيماتٍ مشحونة، بسرعةٍ تبلغ نحو ألف كيلومتر في الثانية، وعندما تدخل هذه الجسيمات في المجال المغناطيسي للأرض عند القطبين، تتفاعل معه فتُحدِث موجاتٍ ضوئيةً ملوّنة تُعرف بالشفق القطبي.(Aurorae)

وتنتقل الطاقة الإشعاعية للشمس إلى الأجرام التي تدور في النظام الشمسي. وقد عُرف أن الكواكب التسعة مع أقمارها تدور حول الشمس في مداراتها بعكس اتجاه عقارب الساعة. وتبلغ المسافة بين الأرض والشمس نحو ثلاثةٍ وتسعين مليون ميل، وتدور الأرض حول الشمس بسرعةٍ تقارب ثلاثين كيلومترًا في الثانية، وتُتمّ دورةً كاملة في سنةٍ واحدة، وينتج عن هذه الحركة تعاقب الفصول.

وإلى جانب دورانها حول الشمس، تدور الأرض حول محورها، وتستغرق هذه الدورة نحو ثلاثٍ وعشرين ساعةً وستٍ وخمسين دقيقة، وينتج عنها تعاقب الليل والنهار؛ فالجهة المواجهة للشمس يكون فيها النهار، بينما تسود الظلمة في الجهة الأخرى.

إنَّ آراءَ العلماء حولَ الأرضِ والشمسِ لا يمكن التسليمُ بها تسليمًا مطلقًا؛ لأنَّ نتائجَ البحثِ العلمي تختلفُ باختلافِ العصور، وما يُعدُّ اليومَ حقيقةً قد يتغيّرُ في المستقبل. ومع ذلك، فإنَّ ما توصّل إليه العلماء من اكتشافاتٍ وإنجازاتٍ يُعَدُّ جهدًا مشكورًا يُنسب إليهم.

والعلمُ التجريبي يعتمدُ على الملاحظة المتأثرة بالمادة؛ فكلُّ ما يُدرَك من خلال الوسائل المادية يظلُّ مرتبطًا بإطارٍ ماديّ. ومع تطوّر البحث وازدياد عمق التفكّر، تتغيّر نتائجُ الملاحظة. فالمشاهدةُ القائمة على الأدوات المادية إنما تُدرك الأشياء من خلال تأثير المادة فيها، مع أنَّ المادةَ نفسها تُعدُّ فرضيةً في جانبٍ من جوانبها. وهذا لا يعني انعدامَ النتائج، بل يعني أنَّ علينا التمييز بين مقدار الحقيقة الظاهرة ومقدار ما بقي محجوبًا منها.

ومن الأمثلة على ذلك أنَّنا نرى الخشبَ إذا أُشعل صار نارًا، لكن عند التأمل في نشأته نجد أنَّ الماءَ له الدورُ الغالب في تكوينه، إذ إنَّ كلَّ ما على الأرض من مظاهر الحياة يعتمد على الماء.

فالماء، الذي يُعدُّ في الظاهر عنصرًا للإطفاء، يحمل في داخله عناصرَ أخرى كامنة. وعلى الرغم من أهمية التقدم العلمي، فإنَّ الاتجاه العام للبحث العلمي يميل في كثيرٍ من الأحيان إلى التصورات النظرية أكثر من سعيه إلى إدراك الحقيقة المطلقة.

ويرى علماءُ الفلك قديمًا وحديثًا أنَّ الشمس مصدرُ الضوء والحرارة، بينما يقول علماءُ الباطن إنَّ الضوء الحقيقي من الأرض، وأنَّ الأرض في حركتها المحورية والطولية تعكس نورها على الشمس، فيظهر ذلك الانعكاس في صورة ضوء الشمس. وقد أشار القرآن الكريم إلى ظاهرة الضوء بقوله تعالى:

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾

(سورة الشمس: 1–4)

الأرضُ كرةٌ تدور في مدارها باستمرار، ولها وجودان: وجودٌ ظاهر، ووجودٌ باطن. فالوجود الباطن للأرض مكوَّنٌ من موجاتٍ ماورائيةٍ تتغذّى مباشرةً من النور، وهي أنوارٌ ألطفُ من الأشعة فوق البنفسجية، لا تُرى بالوسائل المادية، وتنعكس على الشمس باستمرار. وتُشبَّه الشمس بأنها جرمٌ مظلم، فإذا سقطت عليها هذه الأنوار اللطيفة انعكست منها إلى الأرض، وذلك هو ما نُسمّيه ضوء الشمس.

ومن التأمل في عالم الإدراك يتبيّن أن لكل مخلوق نوعين من الوعي أو نمطين من الحياة؛ أحدهما حياةٌ في حالة اليقظة، حيث يعيش الإنسان بحواسه الظاهرة وحركته الجسدية، والآخر حياةٌ في حالةٍ غير شعورية، حيث يكون معطَّل الحواس الظاهرة. وقد سمّى الله الحياة في حالة الوعي «نهارًا»، والحياة خارج الوعي «ليلًا.«

وفي باطن الوجود جهازٌ يستقبل المعلومات، ويُحوّلها أو يرفضها، وهو الذي يمنح المعاني للإدراك. فإذا غلبت الحواس الشعورية رأى الإنسان الأشياء في حالة اليقظة، وإذا غلبت الحواس اللاشعورية دخل في حالة الليل الإدراكي. ولا ينفك الإنسان عن الحواس في أي حال؛ فإذا ضعفت الحواس الظاهرة، ظهرت الحواس الباطنة.

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ

(سورة فاطر: 13)

وَيُخْرِجُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ وَيُخْرِجُ النَّهَارَ مِنَ اللَّيْلِ

(سورة آل عمران: 27)

وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ

(سورة يس: 37)

وتدل هذه الآيات على أن الليل والنهار حالتان إدراكيتان، يعيش الإنسان بينهما؛ ففي حالة النهار يكون مقيَّدًا بالزمان والمكان، وفي حالة الليل يتحرر من هذه القيود.

وقد منح الله تعالى محمدًا رسول الله ﷺ نوعًا من السيادة والتسخير في الكون، أي أن مظاهر الكون—كالليل والنهار والشمس والقمر والنجوم—كلها خاضعةٌ لأمر الله، وتعمل ضمن النظام الذي أقامه.

"وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. " (سورة 16، آية 12)

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ." (سورة 22، آية 65)

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. " (سورة31، آية 29)

"اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ." (سورة 45، الآيات 12–13)

لما فاتت صلاةُ العصر على عليٍّ رضي الله عنه، ولما تحدّث أبو جهل وبعضُ اليهود عن معجزةِ انشقاقِ القمر، أظهر سيّدُنا محمدٌ ﷺ—بإذن الله—ما آتاه الله من التصرّف في الكون، حيث سُخِّرت له الشمسُ والقمرُ وسائرُ مظاهرِ الكون بإذن ربّه تعالى.

الجبل المطيع

صعد النبي ﷺ مرةً على جبلٍ يُقال له أُحُد، وكان معه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعثمان بن عفان رضي الله عنه. فاهتزّ الجبل حتى تدحرجت بعضُ حجارته.

فقال النبي ﷺ: «اثبتْ أُحُد، فإنما عليك نبيٌّ وصِدّيقٌ وشهيدان.«

فسكن الجبلُ في الحال.

(المصدر: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة؛ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة)

توجد نظريتان رئيسيتان حول نشأة الأرض؛ فإحداهما تقول إن الأرض كانت في الأصل جزءًا من الشمس، ثم انفصلت عنها على هيئة كتلةٍ قُذِفَت بعيدًا، أما النظرية الأخرى فهي نظرية الانفجار العظيم .(Big Bang) ووفقًا لكلتا النظريتين، فقد اتخذت الأرض تدريجيًا شكلًا كرويًا مفلطحًا (إهليلجيًا).

ويختلف قطر الأرض بين خط الاستواء والقطبين؛ إذ يبلغ عند خط الاستواء نحو 6378 كيلومترًا، بينما يبلغ عند القطبين نحو 6356 كيلومترًا. وتميل الأرض بزاوية تقارب 23.5 درجة، وتدور حول محورها في نحو أربعٍ وعشرين ساعة، وينتج عن هذه الحركة تعاقب الليل والنهار. كما تدور الأرض حول الشمس في مدارها خلال سنةٍ واحدة، وينتج عن هذه الحركة تعاقب الفصول.

إن تركيب الأرض وميلها واتساعها ودورانها ونظامها المتوازن يُعدّ مثالًا بديعًا على الدقة في التقدير. ويرى العلماء أنه لو كان ميل الأرض 25 درجة لذابت الجليد في القطبين وارتفع منسوب البحار، ولو كان 22 درجة لغطّت البرودة أجزاءً واسعةً من أوروبا. وتتم الأرض دورتها المحورية في أربعٍ وعشرين ساعة؛ ولو استغرقت ثلاثين ساعة لكانت الرياح شديدةً مدمّرة، ولو كانت عشرين ساعة لأصبحت الأرض قاحلةً وجافة. ويتكوّن باطن الأرض من مادةٍ سائلةٍ تحيط بها طبقاتٌ صلبةٌ متعددة، ويشكّل الجزء الأكبر من قطرها معادنَ منصهرةً وصخورًا.

وفقًا لعلماء الجيولوجيا، تحدث على سطح الأرض سنويًا قرابة مليون زلزال، ويقع معظمها في مناطق غير مأهولة. ويمكن للإنسان أن يشعر بنحو أربعين ألف زلزال دون الحاجة إلى أجهزةٍ علمية.

وتنشأ الزلازل البركانية نتيجة خروج المواد السائلة المنصهرة من باطن الأرض، حيث يشكّل الحمم البركانية كتلةً مخروطية حول الفوهة تُعرف بالبركان. وتتحرك هذه المواد الساخنة باستمرار نحو السطح، وعندما يصل الماء إليها يتحول إلى بخار. ويُعدّ البخار القوة الأساسية التي تدفع المواد الأخرى إلى الخارج، ومن هذه المواد الكلور والكبريت والحديد المنصهر، أما الغازات فأشهرها ثاني أكسيد الكربون.

ويرى العلماء أن طبقات الأرض تُصدر موجاتٍ وأصواتًا قبل حدوث الزلزال لا يستطيع الإنسان سماعها، بينما تدركها الحيوانات كالدواب والطيور والأسماك والحشرات، فتظهر عليها تغيراتٌ سلوكية غير معتادة.

وتُقاس قوة الزلازل وتأثيرها بواسطة جهاز يُسمّى «مقياس الزلازل(Seismograph) «، الذي يسجّل الموجات المنبعثة من مركز الزلزال في جميع الاتجاهات. فالزلزال من الدرجة الأولى قد يشعر به عدد قليل من الناس، بينما الزلزال من الدرجة الثانية عشرة يكون شديدًا ومدمرًا، حيث تنهار المباني العالية، وتتحرك الأجسام الثقيلة، ويمكن رؤية موجاته بوضوح على سطح الأرض.

وعلى الرغم من الأضرار التي تُحدثها الزلازل، فإن لها بعض الآثار الإيجابية؛ إذ تؤدي إلى ظهور الينابيع المعدنية الحارة ذات الخصائص العلاجية، كما تُحدث تغييراتٍ جغرافيةً تُسهم في تكوين الشلالات والينابيع، وتُظهر معادن نافعة من باطن الأرض إلى سطحها.

لقد ذكر في القرآن الكريم:

"يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ. " (سورة 55، آية 33)

السُّلطانُ هو الغلبةُ على ستةِ مستوياتٍ من الوعي؛ فإذا استطاع الإنسان، وهو في نطاق الوعي الأرضي، أن يهيمن على هذه المستويات الستة، أمكنه الخروجُ من حدود هذا الوعي الأرضي. وللتعرّف على العالم السماوي، لا بدَّ من المرور بسبعةِ مستوياتٍ أخرى من الوعي، فإذا

أدركها الإنسان صار عارفًا بصفات الله. ولتحقيق هذا العرفان، يمرُّ السالك عبر ثلاثة عشر مستوى من الوعي. تعتمدُ قوةُ الوعي على الزمان؛ ومثالُ ذلك ساعةٌ مرسومة على لوحة، وفي وسطها عقربٌ، ولها اثنا عشر رقمًا. فالأرقام من (1) إلى (12) تمثّل الحيّز (الفضاء)، وحركةُ العقرب تمثّل الزمن. فإذا دُوِّر العقرب بسرعةٍ فائقة حتى يصل إلى الرقم (6) في أقلَّ من طرفة عين، فإن الوعيَ الأرضي المقيَّد بالحيّز يحتجب، ويحصل الإنسان على «السُّلطان» الذي يمكّنه من الخروج من حدود الأرض. وإذا تحرّك العقرب بهذه السرعة حتى يصل إلى الرقم (12)، نال الإنسان سلطانًا يخرجه من حدود الأرض والسماء معًا. أما إذا انتقل العقرب من (12) إلى (1)، فهذا هو الوعي الذي يستخدمه الإنسان في حياته من الميلاد إلى الوفاة. وإذا انتقل إلى (2)، حصل على وعي الأحلام. وإذا قفز من (12) إلى (3)، نال وعي المراقبة (التأمل). وإذا وصل إلى (4)، تحقق له وعي الوحي، وهو ما أشار إليه الله تعالى بقوله: وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ- (سورة النحل: 68) وإذا تحرّك العقرب بسرعةٍ إلى (5)، ظهرت حالة الكشف، وإذا بلغ (6)، تحقّق «السُّلطان» الذي يتيح للإنسان رؤية ما وراء حدود الأرض. فإذا بلغ العقرب (7)، انفتح له وعي السماء الأولى، وعلى هذا القياس يدرك السماوات السبع ويدخل فيها.

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (سورة الطارق: 11–12)

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ(سورة الطلاق: 12)

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ (سورة المؤمنون: 17)

إنَّ معنى التدرّج في الطبقات يُشير إلى القدرات الشعورية التي أودعها الله في الإنسان، وأنَّ كلَّ طبقةٍ من السماوات أو الأرض تمثّل نظامًا قائمًا بذاته، له قانونه الخاص، دون تعارضٍ مع غيره، وجميعها مرتبطةٌ بخالق الكون. وكلُّ ما في السماوات والأرض يسبّح بحمد الله، عارفًا بخالقيته ومقرًّا بها

تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ (سورة الإسراء: 44)

ولو انحرفت مخلوقةٌ واحدة عن هذا النظام، لاختلّ التوازن الكوني، لكن جميع الموجودات قائمةٌ على التسبيح والطاعة.

والقانون أن الإنسان يأتي إلى هذه الحياة من الماضي، فإذا عاد إليه انقلبت حركة الزمن. وما دام الإنسان في نطاق ستة مستوياتٍ من الوعي، يبقى خاضعًا للمكان، فإذا تجاوزها ودخل في المستوى السابع، غلب عليه الزمان وضعفت قيود المكان.

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (سورة الزلزلة: 1–2)

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا

القرآن الكريم: إذا وقعت الواقعة، ليس لوقعتها كاذبة، تخفض وترفع، إذا رُجّت الأرض رجًّا، وبُسّت الجبال بسًّا.

(سورة الواقعة: 1–5)

وقد دلّ القرآن على أن للجبال نوعًا من الإدراك، إذ قال تعالى:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا

(سورة الأحزاب: 72)

إنَّ الإقرارَ أو الإنكارَ لشيءٍ ما يدلُّ على وجودِ نوعٍ من الإدراك فيه. وكما أنَّ الإنسان لا يرى وعيَه بذاته، لكنه يشعر بتأثيره قبولًا أو مقاومةً، كذلك نرى الجبالَ ثابتةً ثقيلة، مع أنَّ حقيقتها أعمق من مجرد هذا الثبات الظاهر.

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ

(سورة النمل: 88)

أي إنَّ الجبل لا يقوم على مادةٍ كثيفةٍ محضةٍ فحسب. فلما خاطب النبي ﷺ الجبلَ قائلاً: «اثبت، فإنما عليك نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشهيدان»، استجاب الجبلُ للأمر، فسكن وتوقّف عن الاهتزاز.

صارتِ الحجارةُ لرسولِ الله ﷺ كالشَّمْعِ، فَلَانَتْ وانقادت له.

قال قلندر بابا أولياء:

حضر منجّمٌ إلى النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ جالسًا على جبل.

فقال المنجّم:

إن صار الجبلُ تحت قدمك لَيِّنًا كالشمع أسلمتُ. فقرأ النبي ﷺ «بسم الله الرحمن الرحيم»، ثم رفع قدمه ووضعها على الجبل، فلانَ الجبلُ. فنظر المنجّم إلى السماء فآمن.

وقال المنجّم: إنَّ في السماء نجمًا إذا صار فوق رأسِ إنسانٍ صار الجبلُ تحت قدمه كالشمع، وكان بلوغُ هذا النجم إلى ذلك الموضع يحتاج إلى مئة ألف سنة. وقد رأيتُ أنه لما وضع محمدٌ رسولُ الله ﷺ قدمه على الجبل، أقبل النجمُ سريعًا حتى صار فوق رأسه، ثم رجع.

تسبيح الحصا

دخل عثمان رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم ذات ظهيرة، وأبوبكر و عمر عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما الذي جاء بك ؟ قال: حب الله ورسوله ". وقد دخل عليه قبله أبوبكر فسأله النبي صلى الله عليه وسلم، فرد بمثله، ودخل عليه عمر الفاروق فسأله فرد عليه بمثله فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت حنينهن كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن قال: ثم أخذهن فدفعهن في يد أبي بكر قال: فسبحن في يده ثم أخذهن ودفعهن في يد عمر فسبحن، ثم أخذهن ودفعهن في يد عثمان فسبحن.

الأصواتُ جزءٌ من حياتنا؛ فهي وسيلةُ تواصلٍ وتبادلٍ للمعلومات. وبفضلها نُدرك أشياءَ كثيرة ونستمتعُ بكثيرٍ من المعاني. فزقزقةُ الطيور على الأشجار، وضحكاتُ الأطفال في مهودهم، ونداءُ الباعة في الطرقات، وضجيجُ الآلات في المصانع، وسائرُ الأصوات الأخرى، كلُّها تطرقُ أسماعنا. ومع ذلك، فهناك أصواتٌ كثيرةٌ لا نسمعها، لأنها خارج نطاق سمع الإنسان.

كشفتِ العلومُ أن نطاقَ السمعِ عند الإنسان محدودٌ بين عشرين هرتز إلى عشرين ألف هرتز(20 Hz) ، بينما قد تصل تردداتُ الموجات فوق الصوتية إلى ما بين عشرين ألف هرتز وعشرين مليون هرتز، ولذلك لا تستطيع آذانُنا إدراك هذه الأصوات.

وتنقسم الموجات إلى نوعين رئيسيين: موجاتٌ تتحرّك فيها الجسيماتُ بالانضغاط والتمدد، وموجاتٌ تتحرّك صعودًا وهبوطًا أثناء انتقالها. ويعتمد تصنيفُ الموجات على التردد وطول الموجة.

وطولُ الموجة هو المسافة التي تقطعها الموجةُ في حركةٍ صاعدةٍ وهابطة؛ فالحركة إلى الأعلى والحركة إلى الأسفل تُكوّنان دورةً واحدة(Cycle) ، وعددُ هذه الدورات في الثانية يُسمّى التردد. فإذا كان طولُ الموجة كبيرًا كان التردد منخفضًا، وإذا كان الطولُ صغيرًا كان التردد مرتفعًا.

وتُعدّ الموجاتُ الراديوية موجاتٍ كهرومغناطيسيةً ذات ترددٍ منخفض، بينما تكون إشاراتُ التلفاز ذات ترددٍ أعلى. ولا تحتاج الموجاتُ الكهرومغناطيسية إلى وسطٍ ماديٍّ للانتقال، بل يمكنها الانتشار في الفراغ دون هواءٍ أو ماء.

وإذا ازداد التردد كثيرًا تحوّلت الموجات إلى أشعةٍ تسير بخطوطٍ مستقيمة، وبسبب قِصر طولها وارتفاع ترددها تزداد قدرتها على اختراق الأجسام.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن جميع الموجودات تسبّح بحمد الله، أي أن كلَّ شيءٍ في الكون له نوعٌ من الإدراك والتواصل:

وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ (سورة الإسراء: 44)

وفقًا للقانون الكوني، فإن كلَّ شيءٍ يتكلّم ويسمع ويشعر. فلما نطقت الحصى بكلمة التوحيد، دلّ ذلك على أن لها إدراكًا وشهودًا بحقيقة أن محمدًا رسول الله ﷺ نبيٌّ حقّ. وأساس ذلك أن النبي ﷺ رحمةٌ للعالمين، وباعتباره رحمت للعالمين، فإن كلَّ ذرّةٍ في الكون تدرك أن بقاءها مرتبطٌ بهذه الرحمة.

زهق الباطل

وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه بالبيت، واستلموا الحجر الأسود بعد ما فتحت مكة المكرمة. وكان حول البيت ستون وثلاث مئة نُصُبٍ، فجعل يقرأ هذه الآية:{جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}، و بيده عود يشير به إليها، فأكبت لوجهها.

وإن إدراك العالم الروحاني يكشف على المرء كثيراً من الحقائق. ومن هذه الانكشافات: أن الرسم البياني (graph) في الخلق البشري يحتل أهمية كبرى. وإن المربعات الصغيرة الغير المرئية بالمجاهر (Micro scope)، تشكل الأساس أو الأرضية في خلق الشيء وإنشائه. وهذه المربعات الصغيرة الغير المرئية نطلق عليها "اللحمة" و " السدى ".

مثالًا: في غرفة الجلوس سجّادٌ مفروش، وعلى السجّاد صورةُ أسد. وهذه الصورة في حقيقتها ليست إلا نتيجةَ تقسيماتٍ دقيقةٍ لمربعاتٍ غير مرئية. ولتوضيح ذلك، يمكن النظر إلى ورق الرسم الشبكي(Graph Paper) ، حيث تتكوّن الصورة من مربعاتٍ صغيرة، فإذا رُسمت عليها خطوطٌ بالقلم لتشكيل الأنف والأذن والعين، ظهرت الصورة واضحة، بينما تختفي حدودُ المربعات.

وهكذا تتكوّن أمامنا ثلاث حالات: مربعاتٌ مجرّدة تمثّل الخطوط الطولية والعرضية، ثم شبكةٌ من هذه المربعات، ثم صورةٌ تتجلّى فوق هذه الشبكة، فتظهر الصورة وتخفى المربعات.

إنَّ الأرضَ كلّها مكوّنة من موجاتٍ مفردةٍ ومركّبة؛ فإذا غلبت الموجاتُ المفردة ضعفت الجاذبية أو انتفت، وإذا اجتمعت موجةٌ مع أخرى تكوّنت الموجات المركّبة، وعندها يظهر أثر الجاذبية.

وتجتمع في هذه الموجات النورُ والضوء، وهذا الاجتماع هو الحركة، إذ تنتشر الحركة في الفراغ وتُحدِّد نفسها بطريقتين: بالموجة المفردة وبالموجة المركّبة. وهذه الموجات ليست متباعدةً ولا متصلةً اتصالًا تامًّا، بل هي نظامٌ يفصل بين الأجسام ويمنحها في الوقت نفسه إمكانية التعارف والتمييز.

والمواليد الثلاثة، أي المخلوقات المتكوّنة من العناصر المادية، هي مخلوقاتُ الموجات المركّبة، غير أن أصلها وحركتها قائمٌ على الموجة المفردة؛ إذ لا وجود للمركّب دون المفرد.

وسيدنا محمد ﷺ هو العارف بأسرار الخلق، والعالم بقوانين «كن فيكون». فلما تلا قوله تعالى:

جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ (سورة الإسراء: 81)

وأشار بعصاه إلى الأصنام، انحلّ نظام الموجات المفردة والمركّبة، فسقطت الأصنامُ على وجوهها وتكسّرت.

شهادة الشجرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة يوما لأصحابه: من أراد منكم أن يلقى الجن فليأتني الليلة، فلم يأت إلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فانطلق به النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ موضعا مرتفعا من مكة، فخط له خطا وقال: لا تخرج منه.ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن، فاجتمع عليه جمع من الجن حتى غاب بينهم، فقالوا: من يشهد أنك رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: هذه الشجرة. فسألها: من أنا؟ فقالت: أنت رسول الله وخاتم النبيين، فلما رأى الجن ذلك آمنوا جميعا.

(المصدر: مسند أحمد، الطبراني، دلائل النبوة للبيهقي)

فوق كل وجود جسدي يوجد جسم آخر يسمى عند علماء الباطن الهيولى، وتدرك العين الروحانية أبعاده وتفاصيله، وتشعر بكثافة الأنوار الكامنة فيه.

ويبين قانون الخلق أن الجسد النوراني يخلق أولا، ثمَّ تقعُ عمليّةُ خلقِ الوجودِ المادي. لكن كلاهما يتصف بالصلابة. وقد سبق أن بيّنا الموجات المفردة والمركبة؛ فالموجة المفردة هي مجموعة حركاتٍ جاريةٍ من جهةٍ إلى جهةٍ أخرى. فإذا تداخلت موجةٌ قادمةٌ من جهةٍ مقابلة مع الموجات المفردة، وتكوّنت عليها النقوش والهيئات، كان ذلك هو الإنسان وعالمه.وأمّا إذا تداخلت الموجات المفردة بعضها مع بعض بحيث تبقى متّصلةً دون أن يزول الفاصل بينها، وتكوّنت على هذه البساط النقوش، كان ذلك هو الجنّ وعالمهم.فمعنى ذلك أن النقوش والهيئات—كالعيون والأنف والأذن واليد والرجل—إذا ظهرت على الموجات المفردة فهي عالم الجن، وإذا ظهرت على الموجات المركبة فهي عالم الوجود المادي.

في عالم الوجود المادي، كما توجد مخلوقات لا تُحصى ولا تُعدّ غير الإنسان، كذلك في عالم الجن توجد الأرض والسماء والقمر والشمس والنجوم وجميع المخلوقات التي نراها على الأرض. والفرق أن الإنسان مخلوق من الموجات المركبة، بينما الجن مخلوقون من الموجات المفردة. وكما تعمل الحواس الخمس في خلق الموجات المركبة، كذلك تعمل الحواس الخمس في مخلوقات الموجات المفردة. فالجن يتكلمون ويسمعون، وفي عالمهم زراعة، كما أن فيه أيضًا آثارًا للتطورات العلمية.

عالمُ الجنِّ عالمٌ يقع ضمن حدود كرتنا الأرضية، وتبدأ حدوده على ارتفاع يقارب مليونًا وستةً وخمسين ألف قدمٍ فوق سطح الأرض. ويمكن تقريب ذلك بمثالٍ: كأن تُقام سقيفةٌ عظيمةٌ فوق مساحةٍ واسعةٍ من الأرض، ويُزرع فوقها، وتُبنى عليها البيوت، وتُغرس فيها الأشجار، وتُعمَّر بالمخلوقات. فلا يرى الإنسانُ من الأرض ما على هذا السقف، ولا يرى من عليه من الجنِّ الإنسانَ. ويرجع ذلك إلى اختلاف طبيعة المادة الصلبة التي نعرفها عن تلك التي يغلب عليها الضوء.

وفي عالم الإنسان يولد الطفل من بطن أمه خلال تسعة أشهر، أما في عالم الجن فيمتد زمن التكوّن—بحسب المقاييس البشرية—إلى تسع سنوات، وكذلك تختلف أعمارهم تبعًا لذلك.

الجنُّ والإنسُ كلاهما مخلوقان مكلَّفان، وكلاهما قادران على تعلُّم العلوم الدنيوية كما يتعلّمان العلوم الروحانية. وفي الكون كلُّ شيءٍ—بما فيه الألوانُ والأشكالُ—له مقدارٌ محددٌ من الحركة، لا يتغيّر ولا يزاد فيه ولا يُنقص. وقد ذكر الله تعالى هاتين الفئتين المكلَّفتين في القرآن الكريم:

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ

(سورة الرحمن: 33)

السُّلطانُ هو القُدرةُ الرُّوحانية؛ فإذا استطاع الإنسانُ أو الجنيُّ أن يُوقِظ هذه القدرةَ ويُحرِّكها، أمكنه الخروجُ من حدود الأرض والسماء ومشاهدةُ عالم الغيب.

وخلاصةُ تعاليمِ جميعِ الأنبياء أنَّ الإنسانَ، وهو في وجوده المادي، ينبغي أن يَحصل على معرفةِ الله، ولا يكون ذلك إلا بالدخول إلى عالم الغيب، وهو أمرٌ لا يتحقق إلا بواسطة «السُّلطان» (الروح). وذلك لأن الروح في الأزل قد سمعت نداءَ الله، ورأته، وأقرَّت بربوبيته إدراكًا تامًّا.

غير أنَّ الإنسانَ—وكذلك الجنيَّ—يَحجبه في عالم الوجود حجابٌ يمنعه من رؤية عالم النور، فإذا ارتفع هذا الحجاب أدرك الإنسانُ روحَه، وهي التي شهدت الله في الأزل وسمعت نداءه وأقرّت بربوبيته.

وعندما صعد سيدنا رسول الله ﷺ إلى الجبل وتلا القرآن الكريم، تحرّكت أنوارُ الآيات—وهي الموجات النورانية المفردة—فحضرت مخلوقاتُ الجن. وقد شهد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هذا المشهد، إذ رافق النبي ﷺ، فتجلّت له هذه الأنوار، فاستيقظت قدراته الروحانية، واستنار باطنه بنور النبوة، حتى صار يرى عالم الجن.

وشهادةُ الشجرة دليلٌ على أن جميع مخلوقات عالم الجن أقرّت برسالة سيدنا رسول الله ﷺ ونبوته، فآمنوا به وصاروا من المسلمين.

يرى علماءُ الباطن أن في عالم الجن إلى يومنا هذا مليارات من المسلمين. وكما أن المسلم في عالم الوجود المادي يؤدي الصلاة والصوم والحج والزّكاة، كذلك في عالم الجن يؤدّي الجنُّ المسلمون—رجالًا ونساءً—هذه العبادات .وقد يعترض بعض الناس فيسألون: لماذا لا نرى الجن؟ فنقول: لماذا لا يرى الإنسان الفيروسات أو البكتيريا؟ ومع ذلك، فإذا استُخدمت أجهزةٌ حسّاسة، أمكن إدراكها. وكذلك إذا حصل الإنسان على علم الموجات المفردة، أمكنه رؤية الجن وعالمهم.ومن معجزات سيدنا محمد رسول الله ﷺ أنه أوتي علم الموجات المركبة والمفردة، والموجات النورانية وما وراء النور، على أكمل وجه.

قصة حنين الجذع

والحنين في اللغة العربية: صوت يخرج من فم الواله المشتاق بسبب فراقه من محبوبه، والجذع في العربية معناها: ساق نخل مقطوعة.

وكان النبي صلى الله عليه و سلم يخطب إلى جذع يوم الجمعة في المدينة، ثم عمل له بعض الأنصار منبراً من خشب طيب، وتقدم إليه أن يجلس عليه للخطبة، فلما تحول النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة إليه حنَّ الجذع حنين الناقة إلى ولدها، وصاح صياح الطفل الذي فقد أمه، و بعث حنينه من الهم والأسى ما يكاد يتشقق منه. فسمعه من حضر في المسجد، فنزل صلى الله عليه وسلم من المنبر، فأتاه ومسح يده عليه فالتزمه، فسكت. وأشهق بالبكاء شهيق الصبي، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن شئت دعوت لك حتى يجعلك الله تعالى في الجنة حيث أكون أنا، تخلد فيه أبد الآباد، يأكل من ثمارك الأنبياء والأولياء. " فقالت الجذع: بلى. ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بدفنه في المسجد.

النباتاتُ—مع كونها كائناتٍ حيّة—تمتلك نوعًا من الإدراك، ولها حواسٌّ كاملة؛ فهي تميّز بين المحبّة والكراهية وتتأثّر بهما. كما أنّها—بحسب علوم انتقال الفكر—تتفاعل مع الإشارات الخفيّة، فترى وتعبّر وتفكّر وتحفظ، بل وتستجيب لما يدور في الخواطر.

وقد أثبتت التجاربُ العلمية أن للنباتات نوعًا من الشعور، وأنها تعبّر عن إحساساتها بطرائق مختلفة. فالأشجار والنباتات تتأثّر بقرب الأشخاص ذوي الطبع الطيّب، وتتنفّر من أصحاب الأفكار المعقّدة أو السلبية. وقد أظهرت تجاربُ التصوير الكيرلياني (Kirlian Photography) أن لمس النبات بمحبة يزيد من قوّة الهالة الضوئية المحيطة به. كما أن العناية بالنباتات بروحٍ مفعمةٍ بالمحبة تُسرّع نموّها وازدهارها.

ومن الأمثلة على ذلك أن صاحبَ مشتلٍ في ولاية كاليفورنيا نجح—بعد سنواتٍ من العناية—في إنتاج نوعٍ من الصبّار (Cactus) خالٍ من الأشواك، وذلك من خلال مخاطبته للنبات بلطفٍ وطمأنته المستمرة، حتى استجاب وتكوّنت سلالة جديدة بلا أشواك.

وفي كندا، أُجريت تجاربُ في جامعة أوتاوا أظهرت أن بذور القمح تنبت بسرعةٍ أكبر عند تعريضها لترددٍ صوتيٍّ معيّن (5000 هرتز). كما بيّنت دراساتُ تأثير الموسيقى أن الأصوات العالية تُحدِث نفورًا في النباتات، فتميل بعيدًا عن مصدرها، بينما تُحدث الموسيقى الهادئة حالةً من النشاط والانتعاش فيها.

اخذِ التحليلِ النفسيّ للمتهمين اخترُعَ جهازٌ يُسمّى جهاز كشف الكذب(Polygraph) ، وهو يُظهر التغيّرات التي تطرأ على الجسم عند قول الصدق أو الكذب، مثل ضغط الدم، وسرعة التنفّس، وتوتّر الأعصاب والعضلات، والتغيّر في التيار الكهربائي الخفيف على الجلد. وقد استخدم أحد الباحثين هذا الجهاز لتسجيل التغيّرات داخل النبات، فربط أسلاك الجهاز بالنبات وسجّل تقلبات استجاباته على شكل رسوم بيانية.

عند سقي النبات ظهرت استجاباته على شكل خطوطٍ هادئة، ثم خطر للباحث أن يحرق الورقة، فانكشف هذا الخاطر للنبات، فأظهر خوفًا، وارتفع مؤشر الجهاز فجأةً. لكن عندما أوهمه بإشعال عود الثقاب دون نيةٍ حقيقية، لم يظهر النبات أي استجابة. كما أن علاقة الباحث بالنبات كانت قوية، حتى إنه حين جُرحت إصبعه شعر النبات بالألم، وظهر ذلك في الرسم البياني.

وفي كلية بريزيدنسي بكلكتا، قام أستاذ في الفيزياء—وهو متخصص في أبحاث الموجات—بدراسة تأثير التوتر في المعادن والعضلات، ثم انتقل إلى دراسة أنسجة النباتات، فأثبت أنها تتأثر أيضًا بالشدّ والتوتر. كما أن استنشاق الكلوروفورم يُفقد النبات وعيه، والهواء النقي يعيده إلى حالته، والنباتات تشعر بالتعب من كثرة العبث بها.

وفي جامعة كازاخستان، أجرى العلماء تجارب لاستخدام النباتات في الكشف عن المعادن، فطلبوا منها أن تُحدث استجابةً كهربائية عند وجود معدن في التربة، وقد نجح هذا الاختبار.

كما أثبتت الأبحاث وجود ارتباطٍ بين أنظمة الإشارات لدى الإنسان والنبات، فمع اختلافها الظاهري فإنها قادرة على التفاهم والتفاعل.

قال الله تعالى:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ

(النور: 41)

تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا

(الإسراء: 44)

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

(الحديد: 1–3)

ونبَّه سبحانه وتعالى في غيرآية على أنه ما من شيء في السماوات والأرض إلا يشعر و يعي، ويعرف كيف يُسبِّح بحمد ربه. وكان النبي صلى الله عليه وسلم على علم بما في السماوات والأرض بصفته رحمة للعالمين. وكل الكون كان يعترف بأنه رحمة له. وحين رأى الشجرُ أن النبي صلى الله عليه وسلم تحول عنه إلى المنبر، شق عليه فراقه، فأجهش بالبكاء، ففاضت رحمة المبعوث رحمةً للعالمين صلى الله عليه وسلم، فسار إليه ومسح بيده على جذع من خشب، وقال له: إن شئت دعوت لك حتى يجعلك الله تعالى في الجنة حيث أكون أنا، تخلد فيه أبد الآباد، يأكل من ثمارك الأنبياء والأولياء".

فسكت الجذع الواعية حين سمعت ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم، فبينت هذه المعجزة النبوية أن كل شجر ينطق، ويسمع، ويشعر بالبعد والقرب. وأن الشجر يفرح، ويبكي ويطلب الدعاء شأن الإنسان تماماً.

يُبيّن القرآن الكريم في مواضع كثيرة أن كلَّ ما في السماوات والأرض ذو إدراك، وأن لكلِّ مخلوقٍ علمًا بصلاته وتسبيحه. وسيدُنا رسولُ الله ﷺ—باعتباره رحمةً للعالمين—مُطَّلعٌ على أحوال جميع المخلوقات في السماوات والأرض، وكلُّ مخلوقٍ يُقِرُّ بأن محمدًا رسولُ الله ﷺ رحمةٌ له.

ولما رأى جذعُ الشجرة أن رسول الله ﷺ قد انتقل إلى المنبر، اشتدّت عليه مفارقتُه، فحنَّ وبكى. فتحرّك فيضُ الرحمة في قلب رحمةِ العالمين ﷺ، فمسح بيده الشريفة على الجذع وقال له:

إن شئتَ دعوتُ الله لك فيجعل لك مقامًا في جنّة الفردوس حيث أكون، فتقيم هناك أبد الآباد، وتأكل من ثمارك الأنبياءُ والأولياء.

فسكن الجذعُ عند هذه العناية، وانقطع بكاؤه. ويكشف هذا المعجز أن الأشجار تتكلّم وتسمع، وأن لها إحساسًا بالقرب والبعد؛ فهي تفرح وتحزن، وتبكي وتطلب الدعاء كما يفعل الإنسان.

سيفٌ من جريدِ النخلِ

وخاض عكاشة بن محصن غزوة بدر بكل بسالة، إذ انقطع سيفه، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فدفع إليه جذلاً من حطب وقال: قاتل بهذا فعاد في يده سيفا شديد المتن أبيض الحديد طويل القامة فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين. وكان اسم سيفه: العون".

ويوم بدر نفسه انقطع سيف مسلمة بن أسلم، فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم جريداً عاد سيفاً أبيض الحديد.

وانقطع سيف عبد الله بن جحش في بعض الغزوات فطلبه النبي صلى الله عليه وسلم، فدفع إليه جريدةً من نخل، وأمره بالهجوم على الكفار فعادت سيفاً أبيض الحديد. وكان اسمه "عرجون".

(**المراجع** :دلائل النبوة للبيهقي؛ الخصائص الكبرى للسيوطي؛ البداية والنهاية لابن كثير؛ الطبقات الكبرى لابن سعد.)

العصا صارت قنديلاً

كان الطفيل بن عمرو شاعراً معروفاً، فلما قدم مكة استقبله سادة قريش استقبالاً حاراً، وقالوا: يا طفيل، مرحباً بك، واعلم أن شاباً من قومنا—محمد بن عبد الله بن عبد المطلب—قد أحدث فرقةً في ديننا، وفرّق بين الأب وابنه، وبين الأخ وأخيه، وبين الزوج وزوجه، فنخشى أن يصيبك ما أصابنا، فلا تسمع منه شيئاً.

فكان الطفيل إذا قصد بيت الله يضع في أذنيه قطناً لئلا يسمع شيئاً من كلام النبي صلى الله عليه وسلم. وفي صباح يومٍ دخل المسجد الحرام، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة يتلو القرآن، فبلغت كلماته سمعه على غير إرادة، فأعجب بها.

فقال في نفسه: ويحك يا طفيل، إنك رجل عاقل وشاعر، تميّز بين الحسن والقبيح، فما يمنعك أن تسمع؟ إن كان خيراً قبلته، وإن كان غير ذلك تركته. فوقف عند النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تبعه حتى دخل بيته، فاستأذن عليه، وذكر له ما قاله قومه، ثم قال: والله ما سمعت كلاماً أحسن ولا أجمل مما سمعت منك. فعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلم.

ثم قال: يا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إني في قومي مطاع، فادع الله أن يجعل لي آية تعينني على دعوتهم. فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم.

فلما رجع وأشرف على قومه، ظهر نورٌ في طرف عصاه، يضيء كأنه قنديل معلق، فسار في ظلمة الليل على ضوئه حتى بلغ بيته. فلما جاءه أهله قال: اعتزلوني، فلست منكم ولستم مني، فقد أسلمت واتبعت دين محمد صلى الله عليه وسلم. فقالوا: دينك ديننا، فأسلموا جميعاً.

ثم دعا الطفيل قومه دوساً إلى الإسلام، فلم يستجيبوا، فعاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم حزيناً، وطلب منه الدعاء لهم، فدعا قائلاً: «اللهم اهد دوساً». ثم أمره أن يرجع إليهم ويدعوهم بالرفق. فرجع يدعوهم، حتى قدم بسبعين أو ثمانين بيتاً منهم مسلمين، وذلك حين كان النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر بعد غزوة الخندق.

وكلُّ شيءٍ خُلق على اتجاهين: اتجاهٍ مادي، واتجاهٍ باطني، وهما متلاقيان، غير أن الاتجاه المادي تابعٌ للباطن. والكفاءة في الباطن، فإذا لم تنتقل إلى الظاهر انعدمت الحركة، والحركة مظهر الكفاءة. ولكل شيء كفاءةٌ فرديةٌ وأخرى جماعية. ومن خصائص الخشب الاحتراق أو الإضاءة، فإذا تحرّك باطنه أضاء وصار مشعلاً.

المراجع:سيرة ابن هشام؛ مسند أحمد بن حنبل؛ دلائل النبوة للبيهقي؛ الطبقات الكبرى لابن سعد.

الخشب يضيء

وصلى قتادة بن النعمان في ليلة مطرية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرقت برقة ثم دخل على الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: فأعطاه عرجونا، وقال: خذ هذا يضاء لك أمامك عشرا وخلفك عشرا فأضاء له. فتوجه قتادة إلى بيته فإذا العرجون يضيء كالمصباح. قال الله تعالى في القرآن الكريم: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [القمر :49]

هذه المقاديرُ المعيّنة هي التي تتكوَّن بها الأشياء المختلفة في الأرض؛ فالحديد تعمل فيه مقادير مخصوصة، وكذلك الخشب تعمل فيه مقادير معينة، فإذا لم تعمل هذه المقادير لم يعد الخشب خشباً ولا الحديد حديداً. وليس المقصود أن المقادير التي تعمل في الحديد لا تعمل في الخشب، بل إن نظام التكوين يقوم على مقادير محددة؛ فللحديد ثمانية مقادير، وللخشب سبعة، فإذا أُضيف مقدارٌ واحد من مقادير الحديد إلى مقادير الخشب تحوّل الخشب إلى حديد.

وللذهب خمسُ مقادير، ولغيره من المواد أربعُ مقادير، فإذا نُقص مقدارٌ من مقادير الذهب تغيّرت طبيعته. وفي الورد ستة مقادير، وفي زهر التفاح تسعة، فإذا نُقصت ثلاثة من مقادير زهر التفاح صار ورداً، وإذا زيدت في الورد ثلاثة مقادير صار زهرَ تفاح. وهذا نظامٌ تخليقيٌّ كامل علّمه الله لمن شاء من ورثة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل التكوين.

وعندما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم جريدة النخل لعكاشة بن محصن، ومسلمة بن أسلم، وعبد الله بن جحش، وقتادة، وقع التغيير في هذه المقادير وفق قوانين التكوين، وهذا التغيير موافق لقول الله تعالى:

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ

(الجاثية: 13)

ومعنى قوله :ما في السماوات وما في الأرض أن كل ما في السماوات والأرض—صغيراً كان أو عظيماً—داخلٌ في نطاق التسخير بأمر الله.

وضع الجملُ رأسه تحت قدمي رسولِ الله ﷺ

الجمل يضع رأسه تحت قدميه صلى الله عليه وسلم

كان رسو الله صلى الله عليه وسلم في مجلس، إذ جاءه جمل ووضع رأسه تحت قدميه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا جمل يشكو صاحبه. ثم اشتراه من صاحبه.

شكوى جمل

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطاً لرجل من الأنصار فإذا هو بجمل فلما رأى النبيَّ الله صلى الله عليه وسلم جزع وذرفت عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح سراته إلى سنامه وذمراه فسكن فقال: من رب هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله. قال: ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنها تشكو إلي أنك تجيعها وتدئبها.

المصدر :مسند أحمد؛ سنن أبي داود؛ دلائل النبوة للبيهقي-

محادثة الظبي مع النبي ﷺ

مرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بوادٍ، فإذا بمنادٍ ينادي: يا رسولَ الله، فتوجَّه، فإذا ظبيةٌ مشدودةٌ إلى خباء، فقالت: يا رسولَ الله، إنَّ هذا الأعرابيَّ قد صادني، ولي خشفان في الجبل. فأطلقها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فلم تلبث أن عادت، فشدَّها إلى الخباء.

فلما استيقظ الأعرابي قال: هي لك يا رسولَ الله، فأمره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يطلقها. قالت أمُّ سلمة رضي الله عنها: فقفزت الظبية إلى خشفها في الجبل.

المراجع:دلائل النبوة للبيهقي؛ المعجم الكبير للطبراني؛ مسند أحمد

****

كلُّ فردٍ في الكونِ بمثابةِ حاسوبٍ صنعته القدرةُ، وقد أُودِعت فيه جميعُ المعلوماتِ المتعلِّقةِ بالنُّظُمِ المجرّيَّة، وهذه المعلوماتُ مخزونةٌ فيه كما تُخزَّنُ البياناتُ في أقراصِ الحاسوب. وهذه المعلوماتُ الجاريةُ في النُّظُمِ المجرّيَّة تنتقلُ باستمرارٍ على متنِ الموجات، وكلُّ موجودٍ يتبادلُ مع موجودٍ آخرَ المعلوماتِ بواسطةِ الموجاتِ على نحوٍ دائم.ويُقِرُّ الباحثونَ الذين يُجرونَ أبحاثهم اعتمادًا على المادّة بأنَّ الضوءَ هو الأقصى سرعةً، غيرَ أنّه ليس من السرعةِ بحيث يقطعُ المسافاتِ الزمانيّةَ والمكانيّة، بل تبقى هذه المسافاتُ في قبضةِ الموجات.وإذا لم يتمّ تبادلُ المعلوماتِ في ذهنِ الإنسانِ عن الجنِّ والملائكةِ والسماواتِ والأرض، فلن يستطيعَ أن يذكرَ الملائكةَ والجنَّ والأشجارَ والجبالَ والشمسَ والقمر. وكما تنتقلُ إلينا موجاتُ **الخيال** لدى الأنواعِ وأفرادِها في النُّظُمِ المجرّيَّة والكون، فإنّها تظلُّ تتدفّقُ إلينا باستمرار. وكذلك تنتقلُ جميعُ **الخيال** المتعلِّقةِ بحياتنا إلى كلِّ مخلوقٍ عبرَ الموجات. وهذا أمرٌ آخرُ، أنّ سائرَ المخلوقات—عدا الإنسان—قد لا تكونُ على علمٍ بهذا القانون. ونحنُ نتأثّرُ بأيِّ إنسانٍ أو بأيِّ فردٍ من المخلوقات لأنّ:

تمتصُّ موجاتُ فردِ المخلوق في داخلِنا ضمنَ الموجاتِ الدافعةِ أو المزيحة. ويظلُّ اللاشعورُ لدى الإنسانِ على اتصالٍ مستمرٍّ بالأطرافِ البعيدةِ من الكون. ومن خلالِ هذا الارتباطِ يستطيعُ الإنسانُ أن يُوصِلَ رسالتَه إلى كلِّ ذرّةٍ في الكون، وأن يكونَ على اطّلاعٍ على الخيال لدى الآخرين. والأمرُ كلُّه أن يتعرّفَ الإنسانُ إلى هذا القانون، وهو أنّ جميعَ مخلوقاتِ الكونِ بينها تواصُلٌ وترابُطٌ عبرَ موجاتِ الخيال- والخيال هو اسمُ تلك المعلومةِ التي تُقرّبُ الإنسانَ في كلِّ آنٍ ولحظةٍ من الحياة، أو تُبعِدُه عن الحياةِ الدنيويّة.

إنَّ سيّدَنا حضور عليه الصلوٰة والسلام هو أمينُ الحياةِ الكونيّةِ والنِّظامِ الكونيّ، وهو الحاكمُ على هذا النِّظامِ كلِّه.

ولما شكا الجملُ إلى حضور صلى الله عليه وسلم قصّتَه المليئةَ بالألم، قال رحمةٌ للعالمين لمالكِ الجمل: إنَّ الجملَ يشكو منك أنّك لا تُطعمه حتى يشبع.

وفي ظلِّ هذا القانونِ لتبادُلِ الخيال، شكتِ الظبيةُ إلى حضور صلى الله عليه وسلم قصّتَها. وفي هذه القصّةِ أمرٌ جديرٌ بالانتباه، وهو أنّ ذواتِ الأربعِ لا تكذبُ وتفي بالعهد-

حفنة تراب

وإن الأشهر العديدة التي مرت على المسلمين بعد هجرتهم إلى المدينة كانت تستنفد الصبر، إذ هاجر من هاجر إلى المدينة وقد ترك ماله وأهله كلهم في مكة، وكانت تواجههم صعوبات تخص القيام على البيت بجانب المشكلات المالية. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعقد المواخاة بين المسلمين من أهل المدينة وبين المهاجرين من مكة إليها، وضرب أنصار المدينة أروع الأمثلة للإيثار والإخلاص، حيث قدم كل مسلم من الأنصار نصف مال وضياعه إلى أخيه المهاجر[1].

ثم نشأت فجوة بين المسلمين واليهود، فاستغلتها قريش، وضمت اليهود إليها. واستعد يهود المدينة للوقوف بجانب قريش حين الحاجة إليه. وكان اليهود يتمتعون بمكانة اقتصادية قوية الدعائم، يسيطرون على الأسواق. ووضعت قريش خطة لتضيق الخناق على المسلمين اقتصادياً، وفرضت حصاراً اقتصادياً على المدينة، فتوقف وصول المواد الغذائية وغيرها من الحاجيات إلى المدينة مما جرَّ على أهلها المجاعة[2].

وضاق المسلمون ذرعاً بعداء قريش وشرورها، وتوصلوا إلى منع القوافل التجارية لقريش من أن تمر بنواحي المدينة. وحالفوا مع القبائل الحرة التي كانت تشرف على الممرات التجارية، وفرضوا الحظر على القوافل المارة بها. فلما تعرض بعض القوافل التجارية لمثل هذه الأوضاع، قلقت قريش قلقاً شديداً. وخرج أبو سفيان بقافلة تضم مئتي بعير تحمل البضائع[3].

خرج جيش مسلح من مكة وكان فيه كبار سادة قريش، وكان أبو جهل في مقدمتهم. فلما بلغ الخبر الجيش طلبوا الرجوع، غير أن أبا جهل أصرّ[4].

فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين واستشارهم، فأيّده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال المقداد بن عمرو رضي الله عنه مقالته المشهورة[5].وفي السنة الثانية من الهجرة، في شهر رمضان، خرج ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ومعهم سبعون بعيراً، وكانوا يتعاقبون على الركوب حتى بلغوا بدراً[6].وتمكنت استخبارات المسلمين من أسر رجلين، وبمشورة الحباب بن المنذر رضي الله عنه تم تغيير الموقع والسيطرة على المياه[7].وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمصارع القوم[8]، ونزل المطر فثبتت الأرض، وأقيم عريش للقيادة[9].وفي صباح اليوم التالي، خرجت قريش في كبر وخيلاء، ونصح عتبة بن ربيعة بالرجوع، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن يكن في القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر[10].ودعا أبو جهل بدعائه، فجاء الجواب:

القرآن الكريم: إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح... (الأنفال: 19)

ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم دعاءً طويلاً وسقط رداؤه[11].

القرآن الكريم: إن لكم في الفئتين اللتين التقتا آية... (آل عمران: 13)

وخرج أهل الشرك للمبارزة، فخرج حمزة وعلي وعبيدة رضي الله عنهم، فقتلوا المشركين[12]. ثم التحمت المعركة، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم قبضة من الحصى وقال: شاهت الوجوه[13].

القرآن الكريم: وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى... (الأنفال: 17)

ونزلت الملائكة لنصرة المسلمين[14].

القرآن الكريم: إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين (الأنفال: 9)

وانتهت المعركة بهزيمة قريش، وقُتل منهم نحو سبعين وأُسر سبعون، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً[15].

يتبادلُ المخلوقاتُ فيما بينهم الخيال على الدوام، والكونُ بأسرِه أسرةٌ لتبادُلِ الخيال .وفي المخلوقاتِ تكونُ الملائكةُ والجنُّ أكثرَ أُنسًا بنا. وما يتواردُ على أذهانِنا من الخيال تباعًا، إنّما يَرِدُ إلينا من نُظُمٍ أخرى وسكّانِها، وهذه الخيال تصلُ إلينا بواسطةِ النور.

وثمّة علاقةٌ وثيقةٌ راسخةٌ بين النُّظُمِ المجرّيَّة وبيننا، وأنماطُ تفكيرِ المخلوقاتِ تشتركُ في نقطةٍ جامعة. وهناك ثلاثةُ أنماطٍ من السلوكِ بينها قدرٌ أكبرُ من الاشتراك، وقد أشار القرآنُ الكريم إليها بأسماء: الإنسان، والملائكة، والجنّ. وهذه الأنواعُ الثلاثةُ موجودةٌ في جميعِ النُّظُمِ المجرّيَّة في الكون.

والإنسانُ مُقيمٌ في عددٍ لا يُحصى من الكواكب، وأصنافُه خارجةٌ عن نطاقِ التقدير، وكذلك يُقال في شأنِ الملائكةِ والجنّ.

المَصْدَر:

[1]ابن هشام، *السيرة النبوية*، ج 1، ص 504؛ صحيح البخارى، كتاب المناقب.

[2]ابن هشام، ج 2، ص 137؛ ابن كثير، ج 3، ص 240.

[3]ابن هشام، ج 2، ص 249؛ الواقدى، ج 1، ص 19.

[4]ابن هشام، ج 2، ص 252–253؛ ابن كثير، ج 3، ص 260.

[5]صحيح مسلم، كتاب الجهاد؛ ابن هشام، ج 2، ص 253.

[6]صحيح البخارى، كتاب المغازى؛ صحيح مسلم.

[7]ابن هشام، ج 2، ص 256؛ الواقدى، ج 1، ص 53.

[8]صحيح مسلم، كتاب الجهاد.

[9]ابن هشام، ج 2، ص 258؛ ابن كثير، ج 3، ص 265.

[10]ابن هشام، ج 2، ص 260.

[11]صحيح مسلم، كتاب الجهاد؛ جامع الترمذى.

[12]صحيح البخارى، كتاب المغازى؛ ابن هشام، ج 2، ص 263.

[13]صحيح مسلم، كتاب الجهاد.

[14]صحيح البخارى، كتاب المغازى؛ صحيح مسلم.

[15]صحيح البخارى، كتاب المغازى؛ ابن كثير، ج 3، ص 283–284.

ولما سُئل سيّدُنا حضور عليه الصلوٰة والسلام: ماذا كان قبلَ هذا الكون؟

قال: امعاء

ثم قيل: فما كان بعد ذلك؟

قال: ماء.

في الاصطلاحِ العربيّ يُطلقُ لفظُ « امعاء » على تلك السَّلبيّةِ التي لا تُدرِكها العقولُ البشريّة، أمّا «ماء» فيُرادُ به «الإثبات»، وهو الذي تقومُ عليه أسسُ الكون. وهذا الإثباتُ هو ما يُسمّى بعالمِ الأمر.

وأمّا « امعاء »، الذي يُعبَّرُ عنه اصطلاحًا بما وراءَ الماوراء، فإنّ تعريفَه يكونُ بعالمِ النور. وأقصى ما تبلغهُ قابليّةُ الفهمِ والتعليمِ عند الإنسان يُسمّى اصطلاحًا «الحجابَ المحمود». والحجابُ المحمودُ هو تلك الذُّرى العُليا التي يُرادُ بها نهايةُ العرشِ الأعظم، وهو كمالُ معراجِ النقطةِ الذاتيّةِ للإنسان، إذ يتمكّنُ من تهيئةِ إدراكِه لفهمِ الحجابِ المحمود، وإدراكِ الصفاتِ الإلٰهيّةِ الجاريةِ في تلك المقاماتِ العُليا.

وهذا العالمُ متعالٍ عن مداركِ الملائكةِ المقرَّبين، إذ إنّ حدَّ طيرانِهم يُسمّى «سدرةَ المنتهى»، فلا يتجاوزونها. وتحتَ سدرةِ المنتهى مرتبةٌ أخرى تُسمّى «البيتَ المعمور.«

والملائكةُ المقيمون في حدودِ سدرةِ المنتهى والبيتِ المعمور، والذين يتحرّكون فيها، ينقسمون إلى ثلاثةِ أقسام: قسمٌ منهم قائمٌ بالتسبيحِ بين يدي الله، وقسمٌ يبلّغُ أوامرَ الله إلى العوالم، وقسمٌ يحفظُ أوامرَ الله المتعلّقةَ بعالمِ الأمر في ذاكرته. وهؤلاء جميعًا لهم ارتباطٌ باللوحِ المحفوظ.

ودونَ عالمِ النور تأتي حدودُ الملائكةِ المقرَّبين، أو «الملإ الأعلى»، وهم ملائكةٌ ذوو ستّةِ أجنحة، لهم فطنةُ إدراكِ عالمِ النور، ويحتملون رسائلَه، وهي الأوامرُ التي تُنفَّذُ من العرشِ الأعظم.

ثم يليهم مرتبةُ الملائكةِ الروحانيّة، وهم يُدركون رسائلَ الملإ الأعلى، ويليهم مرتبةُ الملائكةِ السماويّة، الذين يفهمون رسائلَ الملائكةِ الروحانيّة، ثم تأتي في المرتبةِ الرابعةِ الملائكةُ الأدنى، وهم الذين يملكون فطنةَ تنفيذِ الأوامرِ التي تصلُ إليهم، وهؤلاء منتشرون في الطبقاتِ الأرضيّة في كلِّ مكانٍ.

الملائكةُ ذوو الستّةِ أجنحةِ (الملأ الأعلى) هم أهلُ ستِّ فراسات، وكلُّ فراسةٍ منها نورٌ:

1. لهم قدرٌ من معرفةِ الذات.
2. وهم على درايةٍ بمعرفةِ الصفات.
3. ولديهم فهمٌ للصادرِ الأوّل في عالمِ الأمر.
4. وهم على علمٍ بترتيبِ العَين وكيفيّةِ خلقِها.
5. ولهم إحاطةٌ تامّةٌ بعلومِ المثال في عالمِ الإمكان أو عالمِ الخلق.
6. وهم مُلمّون بأجزاءِ عالمِ الخلق أو عالمِ الإمكان.
7. الملائكةُ الروحانيّةُ هي مجموعُ ثلاثٍ أو أربعٍ أو خمسٍ أو ستِّ أنوار، ولهم معرفةٌ بعالمِ الأمر وعالمِ الخلق، وتُشيرُ أجنحتُهم الأربعةُ إلى هذه الأنوار.
8. وأمّا الملائكةُ السماويّةُ فلهم معرفةٌ بعالمِ الأمر، وتجتمعُ فيهم أنوارُ الصادرِ الأوّل والعَين، وهم مجموعُ ثلاثٍ أو أربعٍ من الأنوار.
9. وأمّا الملائكةُ الأدنى فلهم إحاطةٌ بفهمِ أجزاءِ عالمِ الخلق، وهم مجموعُ أنوارِ المثالِ والعنصر، أي خمسٍ وستٍّ من الأنوار.
10. ولما دعا حضور صلى الله عليه وسلم للمسلمين في غزوةِ بدر، استجاب اللهُ دعاءه، فبحسبِ نظامِ التكوين بلّغَ الملأُ الأعلى قبولَ الدعاءِ إلى الملائكةِ الروحانيّة، ثم نقلتِ الملائكةُ الروحانيّةُ هذا القبولَ إلى الملائكةِ السماويّة، ثم تلقّت الملائكةُ في المرتبةِ الرابعة، وهم الملائكةُ العنصريّة، هذه الرسائلَ، فواجهوا الكفر، وبذلك أتمَّ اللهُ النصرَ والفتح.

مستجاب الدعوة

مرض أبو طالب ـ عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فعاده، فقال له عمه: يا ابن أخي، ادع الله الذي بعثك رسولاً أن يشفيني، فدعا له فخفّ عنه ما كان يجد.

(ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 416؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 3، ص 123)

وفي الحديث القدسي: "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به"...

(، كتاب الرقاق، حديث الولاية–صحيح البخاري)

جاء الأسد

وكان أبو لهب وزوجته أم جميل وابنُه عُتيبة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "اللهم سلط عليه كلباً من كلابك."

فخرج عتيبة في قافلة إلى الشام، فنزلوا مكاناً، فجاء الأسد فافترسه.

(ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 357؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 3، ص 96)

نزل المطر

وبينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، قام رجل فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا. فرفع يديه، فأنشأ الله السحاب، ونزل المطر أياماً، ثم طلبوا منه الدعاء لرفعه فدعا فانكشف.

(صحيح مسلم ، كتاب صلاة الاستسقاء صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في الخطبة؛)

أم أبي هريرة

كانت أم أبي هريرة مشركة، فدعا لها النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم اهد أم أبي هريرة"، فاستجاب الله، فأسلمت

(صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة)

عاد البصرُ إلى العين العمياء

سقط أحدُ الصحابةِ، وهو قُدَيكٌ رضي الله عنه، من بعيرِه على موضعٍ فيه بيضُ حيّة، فانكسر البيضُ، وأصاب رذاذُ السُّمِّ عينيه، فذهب بصرُه. فحضر إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وعيناه قد ابيضّتا، فمسح عليهما ودعا له، فعاد إليه بصرُه.

المصدر: دلائل النبوة، والشفا بتعريف حقوق المصطفى.

البركةُ في الطعام

جاء أبو هريرة رضي الله عنه ببضعِ تمراتٍ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وطلب منه الدعاءَ بالبركة. فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم بيده، ودعا، ثم قال:

اجعلها في مِزادتك، وخذ منها متى شئت، ولا تنفضها.

فوضعها أبو هريرة رضي الله عنه في مِزادتِه وربطها، فكان يأكل منها ويُطعم غيره ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم.

وفي غزوةِ تبوك، أقام ثلاثون ألفًا من المسلمين عشرين يومًا، فلمّا قلّ الطعام، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:يا رسول الله، مُرِ الناسَ أن يجمعوا ما عندهم من الزاد، ثم ادعُ اللهَ فيه.

فاستحسن النبي صلى الله عليه وسلم رأيه، وأمر ببساطٍ من جلدٍ فبُسط، فجاء الناسُ بما عندهم من الطعام؛ فمنهم من جاء بقبضةٍ من الحمص، ومنهم من جاء بالتمر، ومنهم من جاء بقطعةِ خبز. فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يدَه عليه ودعا، ثم قال:

خذوه في أوعيتكم.

فأخذوا منه، فأكلوا حتى شبعوا جميعًا.

المصدر: صحيح البخاري، وصحيح مسلم.

غزوة الخندق

قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وتبلغ مساحتها نحو عشرين كيلو، وبها قلاعٌ كثيرة، أكثرها لليهود، والباقي لقبائل الأعراب، كان هناك قبيلةٌ من الصاغة، وقبيلةٌ أخرى من الزرّاع، وقبيلةٌ ثالثةٌ ماهرةٌ في صناعةِ الجلود.

حضر علماءُ اليهودِ إلى سيّدِنا عليه الصلوٰة والسلام، فلمّا تيقّنوا أنّ محمّدًا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو النبيُّ الخاتم، عادت في نفوسِهم العصبيّة. وكان ظهورُ النبيّ الأخير في غيرِ بني إسرائيل أمرًا بالغَ الوطأةِ على اليهود.

كان بين قبيلتين من الأعراب نزاعٌ على ملكيّةِ الأرض. وقد أدّى عبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ، زعيمُ إحدى القبيلتين، دورًا مهمًّا في تسويةِ هذا النزاع، ممّا زاد في مكانتِه وقدرِه. وكان عبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ يطمحُ إلى أن يكونَ زعيمًا على جميعِ قبائلِ المدينة، ولكن حين علم الناسُ بقدومِ النبيّ الأمينِ الصادق إلى المدينة، عدلوا عن فكرةِ تنصيبه زعيمًا، فكان ذلك سببًا في شدّةِ استيائه.

كان سيّدُنا عليه الصلوٰة والسلام على علمٍ بهذه الأمور كلِّها، فعقد مع يهودِ المدينةِ معاهدةً تقومُ على التسامحِ والأمنِ والحريةِ الدينيّةِ والعدلِ والتعاونِ وحُسنِ العلاقات، ووضع دستورًا لجميعِ سكّانِ المدينة عُرِفَ بـ«صحيفةِ المدينة.»

أرسلت قريشُ مكّة رسائلَ منفصلةً إلى أعرابِ المدينة ويهودِها، تطالبهم فيها بالكفِّ عن نصرةِ المسلمين وتسليمِ سيّدِنا عليه الصلوٰة والسلام إلى أهلِ مكّة، وهدّدوا أنّهم إن لم يستجيبوا فسيهاجمون المدينة، ممّا يؤدّي إلى تخريبِ الممتلكات وسفكِ الدماء وانتهاكِ الحُرُمات، وتكونُ مسؤوليّةُ ذلك على أهلِ المدينة.

مع أنّ اليهودَ لم يُساندوا قريشًا في الظاهر، إلا أنّ ما في طباعِهم من الشرِّ والفساد لم يلبث أن ظهر. فلمّا انتصر المسلمون في غزوةِ بدرٍ، وازداد نفوذُهم، أخذوا يدبّرون المؤامرات في الخفاء. وبعد معركةِ بدر، توجّه شاعران من اليهود، كان لهما تمكّنٌ في الفصاحةِ والبلاغة، إلى مكّة، فكانا يُنشدان الأشعارَ والقصائدَ الطويلة في المجالس، ويُحرّضان كفّارَ مكّة ضدّ المسلمين. ثم امتدّ هذا النشاط إلى أسواقِ المدينة ومجالسِها.

وقد تأذّى المسلمون كثيرًا من الأشعارِ الهجائيّة التي قيلت في كلامِ الله وتعاليمِ الرسول وسيرتِه صلى الله عليه وسلم، فحزنوا وتأثّروا بهذه الإساءة. وبلغت إثارةُ اليهودِ للفتن حدًّا صار معه يُخشى وقوعُ القتلِ وسفكِ الدماءِ في المدينة. فذهب سيّدُنا عليه الصلوٰة والسلام بنفسِه إلى زعماءِ اليهود، ودعاهم إلى الالتزامِ بميثاقِ المدينة، غير أنّهم لم يكتفوا بنقضِ العهد، بل حاولوا قتله بإسقاطِ حجرٍ عليه من أعلى الجدار. فرجع، وأصدر أمرًا بخروجِ اليهود من المدينة، وأُذِن لهم أن يحملوا أموالَهم ومتاعَهم كلَّه، ما عدا السلاح. وهكذا أُجلِيَت قبائلُ اليهود من الصاغةِ والزُّرّاع من المدينة.

بعدَ غزوةِ أُحُدٍ ارتفعت معنوياتُ كفّارِ مكّة، وكانوا على علمٍ بعداوةِ اليهود للمسلمين ونقضِهم لميثاقِ المدينة، كما علموا بوجودِ المنافقين في صفوفِ المسلمين. فسعوا إلى استغلالِ هذا الوضع استغلالًا كاملًا، فتآمروا مع اليهود والمنافقين على حصارِ المسلمين.

وقد اتفقت القبائلُ المقيمةُ حولَ المدينة، ومعها اليهود، مع قريشٍ على تنفيذِ خطّةٍ تهدفُ إلى إضعافِ المسلمين اقتصاديًّا، بقطعِ طرقِ القوافلِ التجاريّة، فكان لذلك أثرٌ بالغٌ على اقتصادِ المدينة. وقبل أن تشتدَّ الأزمةُ الاقتصاديّةُ على المسلمين، خرج سيّدُنا عليه الصلوٰة والسلام في ألفِ رجلٍ متوجّهًا إلى دومةِ الجندل، لإجراءِ مفاوضاتٍ تُعيد فتحَ طرقِ التجارة.

وقد اتُّفِق في معاهدةِ اليهودِ وقريشٍ على أن يتحمّلَ يهودُ خيبرَ القسمَ الأكبرَ من نفقاتِ الحرب. فاجتمع جيشٌ قوامُه عشرةُ آلافِ مقاتل. وأبلغت الاستخباراتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بهذه التطوّرات، فعاد إلى المدينة.

وكان المنافقون قد أبلغوا قريشًا أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ليس في المدينة، فلمّا عاد فجأةً دُهِشوا. وكان مخطّطُ الكفّار أن يهاجموا المدينة في غيابِه صلى الله عليه وسلم. فجمع سيّدُنا عليه الصلوٰة والسلام المسلمين، وتشاور معهم في كيفيةِ مواجهةِ جيشٍ قوامُه عشرةُ آلافٍ من

المقاتلين. فأشار سلمانُ الفارسيُّ بحفرِ خندقٍ حول المدينة للدفاع عنها، فاستحسن النبيُّ صلى الله عليه وسلم هذه الخطة، وبدأ العملُ في حفرِ الخندق. وجُمِعت محاصيلُ الحقولِ والبساتين في المخازن، وأُرسلت النساءُ والأطفالُ إلى الحصون، وأُخليت البيوتُ القريبةُ من الخندق. وجُعل على كلّ عشرةِ رجالٍ حفرُ أربعين ذراعًا من الأرض. فانشغل أهلُ المدينة جميعًا—رجالًا ونساءً—بالحفر، وكلُّ من استطاع حملَ المعولِ أو المجرفة. وبعد ستّةِ أيّامٍ من العملِ المتواصلِ ليلًا ونهارًا، أُنجز خندقٌ بعرضِ خمسةَ عشرَ قدمًا، وعمقِ خمسةَ عشرَ قدمًا، وطولٍ يقارب ستّةَ كيلومترات.

وخلال حفرِ الخندقِ ظهرت حوادثُ كثيرةٌ من إعجازِ النبوّة. فقد ذبح جابرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنه شاةً، وطحن نحوَ صاعين ونصفٍ من الشعير، فعجن العجين. ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إنّي أعددتُ طعامًا قليلًا، فتعالَ يا رسولَ الله. فنادى النبي صلى الله عليه وسلم أهلَ الخندق وقال: إنّ جابرًا قد صنع لكم طعامًا، فهلمّوا جميعًا. فجاء نحوُ ألفِ رجلٍ إلى بيتِ جابر، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتغطيةِ القِدرِ والعجين، ثم كانوا يدخلون عشرةً عشرةً، فيأكلون حتى يشبعوا وينصرفون، حتى أكل ألفُ رجلٍ جميعًا وشبعوا.

وفي يومٍ من الأيّام، دعت أمُّ بنتِ بشيرِ بنِ سعدٍ ابنتَها، وأعطتها قبضةً من التمر، وقالت لها: اذهبي بها إلى أبيكِ وخالكِ.

فلمّا رآها النبيُّ صلى الله عليه وسلم دعاها إليه وسألها: لِمَ جئتِ؟ فقالت: يا رسولَ الله، إنّ أمّي أرسلت هذه التمرات لأبي وخالي. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم ببسطِ مائدة، وأخذ التمرَ من يدها، فنثره عليها، ثم دعا أهلَ الخندق إلى الطعام، وقال: ليأتِ القومُ جماعةً بعد جماعة. فأخذ أهلُ الخندق يأتون جماعاتٍ، فيأكلون حتى يشبعوا، حتى أكلوا جميعًا من ذلك التمر وشبعوا.

وأثناءَ حفرِ الخندقِ ظهرت صخرةٌ شديدةُ الصلابة، فضربها النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالمِعول وهو يقول: بسمِ الله، فخرج شررٌ وانكسر ثلثُها، فقال:

»الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيحَ الشام، واللهِ إنّي لأبصرُ قصورَها الحمراء الآن.«

ثم ضربها ثانيةً، فانكسر الثلثُ الثاني، وخرج شررٌ آخر، فقال:

»الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيحَ فارس، واللهِ إنّي لأبصرُ قصرَ كسرى الأبيض الآن.«

ثم ضربها ثالثةً، فخرج شررٌ، فقال:

»الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيحَ اليمن، واللهِ إنّي لأبصرُ أبوابَ صنعاء من مكاني هذا.«

وكان سلمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه قريبًا منه، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم:

»يا سلمان، ستفتحُ أمّتي الشامَ وفارسَ واليمن.«

حُفِرَ الخندقُ في الجهةِ الشماليّةِ من المدينةِ المنوّرة. ولما وصلت قريشٌ مع حلفائِها إلى مشارفِ المدينة، اندفع المنكرون مغرورين يسرعون بالإبلِ والخيول، فلمّا بلغوا حدودَها وقفوا مدهوشين متحيّرين؛ إذ لم يكونوا قد رأوا ولا سمعوا من قبلُ بمثلِ هذا الأسلوبِ العجيبِ في الدفاع. واضطرّ الجيشُ المجهّزُ بالسلاحِ إلى النزولِ وراءَ الخندق. وكان الحلفاءُ يظنّون أنّهم سيقضون على المسلمين في يومٍ واحد، غير أنّ الخندقَ الذي حال بينهم وبين أهلِ المدينة جعلهم عاجزين. وقد وصل جيشُ المشركين والجوُّ في تغيّر، فاشتدّت البرودةُ على الجنود داخل خيامهم، واضطرّوا إلى فرضِ حصارٍ لم يكونوا قد أعدّوا له من قبل.

كان سيّدُنا عليه الصلوٰة والسلام مع أصحابِه قائمين عند الخندق. وكان قادةُ المشركين يأتون كلَّ يومٍ إلى الخندق، فيُسرعون بخيولِهم من طرفٍ إلى طرف، غيرَ أنّهم لم يجدوا سبيلًا لعبوره. وفي حالةٍ من الغيظِ والغضب، كانوا يمطرون المسلمين بالسهام، فيردُّ عليهم رماةُ المسلمين بوابلٍ من السهام.

وأدّى طولُ الحصارِ إلى انتشارِ القلقِ في الجيش، فلم تعد لديهم القدرةُ على تحمّلِ شدّةِ البرد، ففكّر قادةُ الجيش في الرجوع، غير أنّ إعادةَ جمعِ هذا العددِ الكبيرِ من الجنود لم تكن أمرًا ميسورًا. وتواصل اليهودُ مع بني قريظةَ المقيمين في المدينة، وحثّوهم على نقضِ ميثاقِ المدينة. وفي المقابل، بدأ المنافقون في صفوفِ المسلمين حملةً لزعزعةِ عزائمهم وإضعافِ معنويّاتهم.

وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا - وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (الأحزاب: 13–14).

وقد أثارَت دعايةُ المنافقين وأخبارُ نقضِ العهدِ من قِبَلِ القبيلةِ الحليفة قلقًا في نفوسِ المسلمين، فجاؤوا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم يشكون ما يواجهونه من كيدِ المنافقين وخيانةِ اليهود.

فقال سيّدُنا عليه الصلوٰة والسلام بكلِّ سكينةٍ ويقين:

إنّ المشركين يعتمدون على معونةِ اليهود، أمّا أنا فأعتمد على نصرِ الله، فثقوا أنّ الله لن يتركنا بلا ناصرٍ ولا معين.

فأحيا هذا القولُ في نفوسِ المسلمين روحًا جديدةً من العزم، وامتلأت قلوبُهم يقينًا بنصرِ الله وتأييدِه.

القرآن الكريم: وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا-(الأحزاب: 22)

وكان جيشٌ قوامُه عشرةُ آلافِ مقاتلٍ قد لبث وراءَ الخندق أسبوعين يرتجفون من شدّةِ البرد، فلمّا ظهرت مشكلةُ الغذاءِ وعلفِ الدوابّ، اضطرب قائدُ الجيش خوفًا من وقوعِ التمرّد. وكانت قريشٌ واليهودُ وحلفاؤهم، الذين جمعوا هذا الجيشَ الكبير، ينظرون إلى المسلمين من وراءِ الخندق في حالةٍ من العجز. ولم تُجدِ مؤامراتُ المنافقين في صفوفِ المسلمين نفعًا، كما لم يتمكّنوا من إقناعِ القبائلِ الحليفةِ للمسلمين بنقضِ عهودِها.

القرآن الكريم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا-

(الأحزاب: 9)

ولم يصل الأحزاب إلى نتيجة، حتى هبّت ريحٌ عاصفة في الليل، قلبت قدورهم، وقلعت خيامهم، وأطفأت نيرانهم، وزادت الأمطار من شدّة البرد، ففزع أبو سفيان، وانسحب الجيش خائبًا. إنَّ حركةَ الهواء عنصرٌ أساسيٌّ في التغيّرات الكونية، فهو يسهم في تكوين السحب ونقلها، وتحويلها إلى أمطارٍ تسقي الأرض. وقد أشار الغزالي إلى اختلاف الرياح وأدوارها في تكوين المطر- قال الله تعالى: وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ (الحجر: 22)

والهواء يحمل السحب إلى أماكن مختلفة، وتتحرّك به السفن، وتنتقل به المنافع، ويسهم في نموّ النبات وانتشار العناصر النافعة ، وفي غزوة بدر، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنةً من التراب فرماها، فقال: «شاهت الوجوه»، فكان لذلك أثرٌ عظيم في اضطراب العدو. وكذلك في غزوة الأحزاب، كانت الريح جندًا من جنود الله، أضعفت الكفار وأجبرتهم على الفرار- وقد دلّ القرآن الكريم على أثر الرياح في إهلاك الأمم، قال تعالى: وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (الحاقة: 6)

وكسر الصخرة وبشارة فتح الشام وفارس واليمن. وحُفر الخندق شمال المدينة، فلما وصلت قريش وحلفاؤها وقفوا حائرين أمام هذا الأسلوب الدفاعي الجديد. فأقاموا وراء الخندق، وبدأوا يرشقون المسلمين بالسهام، وردّ المسلمون عليهم. وطال الحصار، واشتد البرد، وعجز الكفار عن القتال، فحاولوا إقناع بني قريظة بنقض العهد، وعمل المنافقون على تثبيط المسلمين. قال الله تعالى:

وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ، وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا - وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (الأحزاب: 13–14).

(**المصادر**):

[1]ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1، ص 500–510؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج 3، ص 230-، [2]ابن كثير، ج 3، ص 233-، [3] ابن هشام، ج 2، ص 220-

[4]ابن هشام، ج 1، ص 502 (صحيفة المدينة).، [5]ابن كثير، ج 3، ص 240-، [6]الواقدي، المغازي، ج 1، ص 363-، [7]ابن هشام، ج 2، ص 195؛ ابن كثير، ج 3، ص 245-، [8]ابن كثير، ج 4، ص 90-، [9]ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ج 2، ص 66-، [10] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب الخندق؛ ابن هشام، ج 2، ص 225-، [11]صحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث جابر-، [12] أحمد بن حنبل، *المسند*، ج 6، ص 141-،

وأثارت دعاية المنافقين وخيانة الحلفاء قلق المسلمين، فشكوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال بثقة: إنهم يعتمدون على اليهود، وأنا أعتمد على الله، ولن يتركنا الله دون ناصر[17]. فبعث كلامه الطمأنينة في نفوس المسلمين، وقوّى عزيمتهم، وامتلأت قلوبهم يقيناً بنصر الله.

القرآن الكريم: وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا-(الأحزاب: 22)

ووراء الخندق جيشٌ قوامُه عشرةُ آلافٍ، يعاني من شدّة البرد وقِلّة الزاد وعلف الدواب، وقد أحاط به الخوف والاضطراب، ينظر إلى المسلمين عبر الخندق في يأسٍ وقنوطٍ من الظفر، ولم تُجدِ دسائسُ المنافقين، ولا محاولاتُهم في نقض العهود بين المسلمين وحلفائهم. قال الله تعالى:

القرآن الكريم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا-

(الأحزاب: 9)

ولم يكن المتحالفون على الباطل قد حسموا أمرهم بعد، حتى هبّت في الليل عاصفةٌ شديدة، فكانت الخيامُ تتطايرُ في الهواء كأنّها بالونات، وانطفأت النيرانُ المشتعلة في المعسكر، واشتدّت البرودةُ بسبب المطر الغزير، فخدرت أيدي الجنود وأرجلهم، وامتلأ الموضع الذي نزلوا فيه بمياهِ السيل. فاضطرب أبو سفيان من هذه النوازل المفاجئة، فركب بعيرًا كان مربوطًا، وجعل يضربه بالسوط مرارًا ليُسرع، وقد بلغ به الخوفُ حدًّا أن نسي أنّ البعيرَ مقيّد. وفي النهاية، انهزم جيشُ المشركين، وتركوا حصارَ المدينة، وانصرفوا على أعقابهم.

في التغيّراتِ الكونيّةِ يعملُ الفعلُ المغناطيسيّ، فالحرارةُ أو السخونةُ هي حركةٌ قابلةٌ للقياس أو اهتزاز. وسواءٌ أكانت تفاعلاتٍ كيميائيّةً، أم طاقةً حراريّةً كهربائيّةً، أم أشعّةَ الشمس، فإنّ الحركةَ عنصرٌ أساسيٌّ فيها جميعًا.

وكما أنّ الماءَ أساسٌ في حياةِ كلّ مخلوق، فإنّ للهواءِ دورًا كذلك؛ فالهواءُ يرفعُ الأبخرةَ إلى الأعلى بمساعدةِ الشمس، ويحوّلها إلى سُحبٍ متفرّقة، ثم يُسيّرُ هذه السُحبَ في الفضاء، فتتكاثفُ تلك الأبخرةُ لتصيرَ قطراتِ مطرٍ تُسقي الأرض.

إنَّ الريحَ الشرقيّةَ ترفعُ السُحبَ إلى الأعلى، والريحَ الشماليّةَ تجمعُ أجزاءَ السحاب، والريحَ الجنوبيّةَ تجعلُ السحابَ مهيّأً للإمطار، والريحَ الغربيّةَ تُحوّلُ القطراتِ إلى مطرٍ يُسقي الأرض.

قال اللهُ تعالى:

وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ- سورة الحجر:٢٢

تحملُ الرياحُ السُّحبَ وتنقلُها إلى أماكنَ مختلفة، فيزرعُ الفلّاحون الأرضَ وتنبتُ الحبوب. وتجري السفنُ في البحار على أجنحةِ الرياح، فتنقلُها من بلدٍ إلى آخر، حاملةً حاجاتِ الناس. كما تحملُ الرياحُ الغبارَ والرمالَ إلى البساتين، فتكونُ سببًا في قوّةِ الأشجار. وعلى أجنحةِ الرياح تصلُ أشياءُ كثيرةٌ إلى سواحلِ البحار، فينتفعُ بها الناس. وتحفظُ الرياحُ حركةَ الإنسان—وهو أشرفُ المخلوقات—وسائرِ المخلوقاتِ المسخَّرةِ له، فتجعلُها نشطةً ومستعدّة.

ويقولُ علماءُ الباطن إنّ عينَ الروح ترى أنّ:

الهواءَ مخلوقٌ، وفيه نظامُ تناسلٍ جارٍ؛ يمرُّ بمرحلةِ الطفولة ثمّ يبلغُ الشباب، وبعد ذلك يلحقه الانحطاط .والهواءُ كأنّه جُرثومةٌ تشبه حبّةَ العدس، مستديرةٌ ملساء، أصغرُ من البكتيريا وأسرعُ نموًّا منها. ومناطقُ تكوّنِ الهواء تكون في الصحارى المفتوحة وعلى سطوحِ البحار الداخليّة.

في داخلِ الأرضِ مخلوقٌ يُسمّى الجراد، فإذا خرج إلى الفضاء وطارت أسرابُه تكاثرت أعدادُه حتى تُشكِّل حجابًا بين الشمسِ والأرض، فيعمُّ الظلامُ على سطحِها. وأمّا الهواءُ فهو مخلوقٌ شفّاف، وجُرثوماتُه دقيقةٌ جدًّا، لا تُدركُها العينُ المادّية ولا تُرى بالأدواتِ المجهريّة المعتادة. غير أنّه إذا اشتدّت سرعتُه تحوّل إلى عواصفَ ورياحٍ عاتية، قادرةٍ على تدميرِ الأبنيةِ الشاهقةِ والآلاتِ الضخمةِ والمدنِ الكبيرة في لحظاتٍ قليلة. ويغلبُ اللونُ الأخضرُ في مخلوقِ الهواء، فإذا اشتدّت حركتُه غلبت عليه الحُمرة، كما تشتملُ طبيعته على سائرِ الألوانِ الموجودةِ في المخلوقاتِ الأخرى.

في الهواءِ طاقةٌ عظيمة، إذ تجري الرياحُ بسرعةٍ تبلغ ثلاثين إلى أربعين ميلًا في الساعة، وقد تصلُ أحيانًا إلى مئةٍ وعشرين ميلًا في الساعة. وفي البحار تدورُ العواصفُ الماطرةُ بسرعةٍ تبلغ مئتين وأربعين كيلومترًا في الساعة، بينما تتقدّمُ إلى الأمام بسرعةٍ تقارب عشرين كيلومترًا في الساعة. وللرياحِ تأثيرٌ مباشرٌ في قوّةِ أمواجِ البحار وسرعتِها.

وفي غزوةِ بدر، لما رمى النبيُّ صلى الله عليه وسلم قبضةً من التراب، أطاعتِ الرياحُ أمرَه، وكذلك في غزوةِ الأحزاب هبّت ريحٌ شديدة، ولبدت السماءُ بالغيوم، ونزل المطرُ حتى غمرَ أرضَ المعركة. وقد أثّرت الرياحُ العاصفةُ والأمطارُ الغزيرةُ في أعصابِ الجيش، فألقت الرعبَ في قلوبِ أهلِ الباطل، فتزلزلت صفوفُهم وانهزموا مذعورين.

قال اللهُ تعالى:

الْحَاقَّةُ ۝ مَا الْحَاقَّةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ- —(سورة الحاقة- ١ – ٨)

المصادر :

[1]السيرة النبوية، ج 1، ص 500–510؛ البداية والنهاية، ج 3، ص 230-

[2]البداية والنهاية، ج 3، ص 233-

[3]السيرة النبوية، ج 2، ص 220-

[4]السيرة النبوية، ج 1، ص 502 (صحيفة المدينة)-

[5]البداية والنهاية، ج 3، ص 240-

[6]المغازي، ج 1، ص 363-

[7]السيرة النبوية، ج 2، ص 195؛ البداية والنهاية، ج 3، ص 245-

[8]البداية والنهاية، ج 4، ص 90-

[9]الطبقات الكبرى، ج 2، ص 66-

[10]صحيح البخاري؛ السيرة النبوية، ج 2، ص 225-

[11]صحيح البخاري-

[12]مسند أحمد، ج 6، ص 141-

براءة عائشة رضي الله عنه

انتشر نور الإسلام في المدينة بسرعة عظيمة. مما أقض مضاجع كفار مكة. فعقدوا مع اليهود عقوداً عسكرية تُعينهم على التغلب السياسي على المدينة. كما حالفوا القبائل المجاورة للمدينة. وكانت الممرات التجارية تقع على مواقع القبائل الموالية لكفار قريش، وبالتالي تم فرض حصاري اقتصادي على المدينة. والمرحلة القادمة من الخطة التي وضعوها تمثلت في محاولة رئيس المنافقين في المدينة: عبد الله بن أبي بالاشتراك مع كفار مكة . حملَ قبيلة بني المصطلق على الهجوم على المسلمين، وذلك لكي يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة لمكافحة هؤلاء الأعداء المهاجمين على المدينة، وبالتالي يخلو الجو له، فيثير فسادا وقتلاً في المدينة.

وأدرك الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المكيدة، وأمر باتخاذ خطوات احتياطية لمواجهة غارة بني المصطلق، وأعد سرية تشتمل على ثلاثين مقاتلاً للرد عليهم. وتقدم إلى مناطق بني المصطلق. ولم تكن هؤلاء مستعدين لمواجهة مثل هذه الأحوال. فانهزم جيشهم المكون من مئتي فارس، وتم أسرالقبيلة بأسرها.

كما وكل الرسول صلى الله عليه وسلم قيادةَ جماعة من المقاتلين إلى عبد الله بن أبي المنافق، واستصحبه إلى المعركة. وبالتالي بقيت جماعة المنافقين في المدينة دون قائد يقودهم أو أميريوجههم. وهذه الاستراتيجية عملت على إفشال خطة الهجوم على المدينة.

وكانت من الأسرى ابنة رئيس القوم "برة". وقسم الرسول صلى الله عليه وسلم الغنائم والأسارى، فكانت برة في سهم ثابت بن شماس. فبكت، وقالت: إنها لاترضى أن تعيش أمَةً، فدفع الرسول صلى الله عليه وسلم فداءها، وأعتقها ثم تزوجها. وتعرف بين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بـ "جويرية بنت الحارث ".

وكانت قبيلة بني المصطلق كلها أقارب الجويرية، فأعتق الصحابة كل الأسرى. وكان لبسالة المسلمين ولطفهم وكرمهم وحسن سلوكهم أثر طيب في قلوب القوم، فأسلموا جميعاً.

وبينما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والجيشُ الإسلاميُّ مقيمين في ذلك الموضع، وقع نزاعٌ يسيرٌ بين رجلين من المسلمين. فاغتنم عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ، وهو سيّئُ النيّة، هذه الحادثةَ ليُثيرَ الفتنةَ بين المسلمين، فجاء إلى طائفةِ الأنصار وقال:

ليتني متُّ قبلَ هذا اليوم، فما رأيتُ يومًا أذلَّ منه. لقد آويتم المهاجرين، وبذلتم لهم أموالَكم، وضيّقتم على أنفسكم وأهليكم من أجلهم، فكان جزاؤكم أن كثروا في المدينة حتى صرتم أقلّيّة، ثم صاروا يقابلونكم. وإنّي أرى أن تضربوهم وتُخرجوهم من المدينة ليعرفوا قدرَهم.

ولما لم ينجح عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ في إثارةِ الظنون في قلوبِ الأنصار تجاه إخوانهم من المهاجرين، توجّه إلى جماعةِ المهاجرين وقال لهم: إنّكم تركتم ديارَكم وأموالَكم، وتحملتم مشقّاتِ السفر، وتركتم نعيمَ الحياة من أجل الإسلام، ثم لم تنالوا إلا اللومَ وسوءَ الظنّ. ثم أظهر تعاطفًا وقال: في هذه المرّة خرجتم بالخسارة، فقد حُرمتم من الغنائم. فالأنصارُ عندهم ديارٌ ومعايش، أمّا أكثرُ المهاجرين فهم فقراءُ يعتمدون عليهم، فعدمُ حصولكم على الغنائم كان ضررُه عليكم أعظمَ من الأنصار. ثم أراد أن يُوقعَ الشكَّ في قلوبهم تجاه رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنّ محمدًا صلى الله عليه وسلم قد عقد صلةً مع زعيمِ القوم، فاضطررتم إلى إطلاقِ الأسرى دون مقابل، وها أنتم تعودون إلى المدينة بأيدٍ خالية، كما خرجتم منها أوّل مرّة.

ولما لم يُحقّق عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ نجاحًا يُذكر في إثارةِ الظنون في قلوبِ أنصارِ المدينة تجاه إخوانهم من المهاجرين، توجّه إلى جماعةِ المهاجرين وقال: لقد تركتم ديارَكم وأموالَكم، وتحملتم مشقّاتِ السفر، وتركتم متاعَ الحياة من أجل الإسلام، ثم لم تنالوا إلا التوبيخَ وسوءَ الظنّ. ثم أظهر تعاطفًا وقال: في هذه المرّة خسرتم كلَّ شيء، فقد حُرمتم من الغنائم. فالأنصارُ يملكون الدورَ ووسائلَ المعيشة، أمّا أكثرُ المهاجرين فهم فقراءُ يعتمدون عليهم، فعدمُ حصولكم على الغنائم كان ضررُه عليكم أعظم. ثم أراد أن يُوقعَ الشكَّ في قلوبهم تجاه رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنّ

محمدًا صلى الله عليه وسلم قد أقام صلةً مع سيّدِ القبيلة، فاضطررتم إلى إطلاقِ الأسرى دون مقابل، وها أنتم تعودون إلى المدينة بأيدٍ خالية، كما خرجتم منها أوّل مرّة.

فلمّا بلغ سيّدَنا عليه الصلوٰة والسلام خبرُ إثارةِ الفتنةِ من عبدِ اللهِ بنِ أُبيٍّ، تألّمَ لذلك تألّمًا شديدًا، ثم خاطب المسلمين بحكمتِه وكلامِ النبوّة، فدعاهم إلى الأُخوّةِ والمودّة. ثم أمر بالرحيلِ على الفور، فتحرّك قافلةُ المسلمين وانطلقت.

وفي طريقِ العودةِ نزل القافلةُ في موضعٍ للاستراحة. وكانت عائشةُ رضي الله عنها، زوجُ النبيّ صلى الله عليه وسلم، في هذا السفر، فنزلت عن بعيرِها لحاجةٍ لها. فلمّا ارتحل القومُ من جديد، كان الهودجُ مُغطّى، فظنّوا أنّها فيه، ولم يشعروا بغيابها، فبقيت رضي الله عنها خلف القافلة.

وكان صفوانُ بنُ المعطّل رضي الله عنه يتولّى السيرَ خلف القافلة لالتقاطِ ما يسقط منها وردّه إلى أصحابِه. فلمّا بلغ موضعَ النزول وجد أمَّ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها قد تخلّفت عن الركب، فأخبرته بما جرى. فعرض عليها أن تركب بعيرَه، وأخذ يقودُه بنفسه.

وصلت القافلةُ الإسلاميّةُ إلى المدينة بسرعة، ثم قدم صفوانُ رضي الله عنه ومعه أمُّ المؤمنين عائشةُ الصدّيقةُ رضي الله عنها بعد ذلك. وكان المنافقون لا يَدَعون فرصةً لإثارةِ الشكوك بين أصحابِ النبيّ صلى الله عليه وسلم، فوجدوا في ذلك مجالًا لإظهارِ خبثِهم وافتراءِ الكذب على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. فكان عبدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ مع أتباعِه ينشرون الفتنةَ في أزقّةِ المدينة من الصباح إلى المساء، وأثاروا موجةً من البهتان على عِرضِ النبيّ صلى الله عليه وسلم. كما كان اليهودُ يسعون إلى الإضرارِ بالمسلمين، ولم يُقصّروا في تأجيجِ الخلافات بين الأنصار والمهاجرين في غزوةِ بني المصطلق، وفي نشرِ الإفك على سيّدةِ عائشةَ رضي الله عنها.

وكان حسانُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه شاعرًا بليغًا فصيحًا، فعمل المنافقون على إثارةِ العصبيّة بين المهاجرين والأنصار، ودفعوه إلى قولِ الهجاء في صفوانَ بنِ المعطّل رضي الله عنه. فبالاعتماد على الخيال، صوّروا حادثةً موهومةً ووسّعوها حتى تأثّر بها بعضُ المسلمين البسطاء، ولم يسلموا من الوساوس. فاشتدّ حزنُ سيّدِنا عليه الصلوٰة والسلام، وذكر أهلُ السير أنّ هذه الحال استمرّت نحوَ شهرٍ، عانت فيه عائشةُ الصدّيقةُ رضي الله عنها ألمًا نفسيًّا شديدًا. حتى إنّه في يومٍ دخل عليها النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا عائشة، هل تعلمين ما يقول الناس في شأنك؟ ففاضت عيناها بالدموع، وقالت بصعوبة: يا رسولَ الله، إنّ ما يُقال عنّي باطلٌ محض، وهو افتراء.

وفي تلك اللحظة نزل الوحيُ ببراءةِ عائشةَ الصدّيقةِ رضي الله عنها، فنزلت آياتٌ من سورةِ النور تُثبتُ طهارتَها.

قال اللهُ تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ- لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ- لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ- وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ- إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ- وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ- يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ- وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ- (سورة النور-١١-١٨)

إنَّ نزولَ آياتِ البراءةِ في شأنِ عائشةَ رضي الله عنها من عندِ الله تعالى يُعدُّ بلا شكٍّ من أعظمِ وجوهِ الإعجاز.

ومن خلالِ هذا الحدثِ يتبيّنُ مقامُ المرأةِ في الإسلام وفضلُها، فقد سوّى اللهُ تعالى بين الرجالِ والنساءِ في الأعمالِ والجزاء. وكما ذكر القرآنُ براءةَ يوسفَ عليه السلام، كذلك نزلت آياتٌ في براءةِ عائشةَ رضي الله عنها.

قال اللهُ تعالى في قصةِ يوسفَ عليه السلام:

وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي

أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ(٢٤)وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ(٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ(٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ(٢٨)

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ(٢٩)

وقال اللهُ تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (الحجرات: ١٣)

وقال اللهُ تعالى: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (الأحزاب: ٣٥)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش الإسلامي معه ـ مقيماً بها، إذ اقتتل مسلمان لبعض الأمور، فاستغل عبدا لله بن أبي ـ الدني ـ هذه الفرصة ولم يدعها تذهب سدى في إثارة الخلاف و الشقاق بين المسلمين، فتوجه إلى منزل الأنصار في الجيش الإسلامي وقال لهم: والله ما رأيت كاليوم قط، والله إن كنت لكارها لوجهي هذا، أنزلتموهم بلادكم فنزلوا، وأسهمتموهم في أموالكم حتى استغنوا، و عرضتم لأجلهم أهليكم للضيق الاقتصادي، أما والله لو أمسكتم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم، ثم لم يرضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا، فقتلتم دونه، فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا. وإذاً يدركون قدرهم.

ولم يفز عبد الله بن أبي بإثارة الضغينة في قلوب الأنصار تجاه إخوانهم المهاجرين كثيراً، فتوجه إلى منازل المهاجرين في الجيش الإسلامي، وقال لهم: إنكم تركتم أموالكم وديارِكم لأجل الإسلام إلى المدينة، وعانيتم المشقات والمتاعب في سبيله، وهجرتم الراحة والطمانينة له، ثم قوبلتم بالزجر وسوء الظن. وقال لهم عبد الله ناصحاً: إنكم خسرتم خسارة عظيمة في هذه المرة، فحرمتم الغنيمة، والأنصارعندهم الدور وأسباب المعاش ومعظم المهاجرين لامال لهم، يعتمدون على الأنصار. وحيث حرمتم الغنيمة فقد خسرتم خسارة لم يخسرها الأنصار. ثم قال ـ لينفر المسلمين من الرسول صلى الله عليه وسلم: إن محمداً صاهر رئيس القبيلة، فأطلقتم أساراكم بدون مقابل حصلتموه. فعدتم إلى المدينة أصفار الأيدي كما خرجتم منها لهذه الرحلة الشاقة.

وأصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتنة عبد الله بن أبي بكثير من الأسى والهم. ودعا الناس إلى الإخاء وأمر بالرحيل على الفور. فارتحلت قافلة المسلمين.

و قفل الجيش، وكانت عائشة رضي الله عنها مع النبي صلى الله عليه وسلم. فنزلوا في بعض المنازل، فخرجت عائشة لحاجتها، فلما ارتحلوا منه وجدوا أستار الهودج مرخاة. فظنوها فيه. و كانت عائشة قد تخلفت عن الركب.

وكان صفوان بن المعطل يسير وراء الركب يتسقط المتاع، ويؤديه إلى أصحابه. فلما وصل إلى منازلهم وجد عائشة قد تخلفت عن الركب. فأخبرته عائشة بما وقع. فقرب صفوان بن المعطل إليها راحلته. فركبتها، وسار صفوان آخذاً بلجامها يقودها، حتى قدم بها، وكان الجيش قد أسرع السير و وصل المدينة. والمنافقون لايفوتون فرصة تمكنهم من خلق سوء التفاهم عن النبي صلى الله عليه وسلم. فوجدوا في ذلك فرصة لإبداء ما يكنه صدورهم من الشحناء والافتراء على النبي صلى الله عليه وسلم. فكان عبد الله بن أبي مع أصحابه يثير الفتنة في أزقة المدينة ليل نهار. ويوجه التهم إلى النبي المبرأ من كل عيب. وكان اليهود يتصدون لإضرار المسلمين. ولم يدخروا جهداً في نشر الشائعات في اقتتال الأنصاري والمهاجري في غزوة بني المصطلق، و الافتراء على عائشة رضي الله عنها كذلك.

وكان حسان بن ثابت من الثابتين على الإسلام ثبوت الجبال، وشاعراً قديراً. وأثار المنافقون العصبية بين المهاجرين والأنصار. وحمله على أن يهجو صفوان بن المعطل. فنسج أشعاراً صادرة من تخيلاته، وبالغ فيها مبالغة لم تدع عامة المسلمين يسلمون من الوساوس الشيطانية. وكل ذلك تسبب في قلق الرسول صلى الله عليه وسلم وحزنه.

ويقول المؤرخون المسلمون: إن هذا الوضع استمر نحو شهر. ولقيت عائشة خلال ذلك من المتاعب النفسية والألم الشديد كثيراً حتى دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال له: أتدرين ما يقول الناس عنك ؟ فسالت عينُ عائشة دموعاً، ولم تستطع أن تقول إلا بشق النفس: يارسول الله، ما يقول الناس عني كله كذب وافتراء.

وفي نفس الوقت نزل الوحي، ونزلت آيات سورة النور ببراءة عائشة رضي الله عنها، قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (12) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (13) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (14) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (17) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (18) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (19) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (20) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (21) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (22) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (23) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (25) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (26) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (27) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (28) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ) [النور:11. 29]

إن نزول هذه الآيات من الله تعالى ببراءة عائشة رضي الله عنها معجزة كبيرة. كما يدل هذه القصة على مكانة المرأة ي الإسلام وفضلها.

كما أن القرآن الكريم ذكر براءة يوسف عليه السلام، كذلك ذكر براءة عائشة رضي الله عنه، قال الله تعالى: (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (21) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَ اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (29) [يوسف:21. 29]

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات:13].

وقال تعالى: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [الأحزاب:35]

المصادر:

1. غزوةُ بني المصطلق، وأسرُ جُويريةَ بنتِ الحارث ثم عتقُها وزواجُ النبيّ صلى الله عليه وسلم بها:
صحيح البخاري، كتاب المغازي؛ وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير.

2. حادثةُ التخلّف، ووجودُ عائشةَ رضي الله عنها بعد ارتحالِ الركب، ومرورُ صفوانَ بنِ المعطّل بها:
صحيح مسلم، كتاب التوبة، حديث الإفك؛ وصحيح البخاري، كتاب الشهادات:المغازي في حديث الإفك.

3. إشاعةُ عبدِ اللهِ بنِ أُبيٍّ للفتنة، وحديثُ الإفك، واستمرارُه مدّةً ثم ظهورُ البراءة:
صحيح مسلم، كتاب التوبة، حديث الإفك؛ وصحيح البخاري، كتاب المغازي.

4. المشاجرةُ بين المهاجريّ والأنصاريّ في غزوةِ بني المصطلق، واستغلالُ عبدِ اللهِ بنِ أُبيٍّ لها:
تُذكر في كتبِ السيرة، وأشهرُها :السيرة النبوية لابن هشام، والبداية والنهاية لابن كثير، ويُشار إليها أيضًا في شروحِ سببِ نزولِ سورة المنافقون.

5. تفاصيلُ حملةِ بني المصطلق وسياقُها العام:
السيرة النبوية لابن هشام، والطبقات الكبرى لابن سعد، والبداية والنهاية لابن كثير .وقد وردت الإحالة إليها في الدراسات الجامعة لخبر الإفك وغزوة بني المصطلق.

6. براءةُ عائشةَ رضي الله عنها في القرآن مع ثبوتِ القصةِ تاريخيًّا في كتبِ الحديث والسيرة:
أصلُ القصةِ التاريخيّ في صحيح البخاري وصحيح مسلم، مع تفصيلاتٍ أوسع في ابن هشام وابن كثير) .

بئرُ الحديبية.

الماءُ في طريقِ تبوك

في طريقِ تبوك، كان في صخرةٍ بوادي مُشَقَّق عينُ ماءٍ، ولم يكن الماءُ الخارجُ منها إلا بقدرِ ما يكفي ثلاثةَ رجالٍ للشرب. وكان سيّدُنا عليه الصلوٰة والسلام قد أمرَ مَن يتقدّمون ألّا يستقوا من العينِ حتى نصل. غيرَ أنّ جماعةً من المنافقين سبقوا إلى الموضع قبلَ وصولِ سيّدِنا عليه الصلوٰة والسلام، فاستخرجوا ماءَها كلَّه وأهدرُوه. فلمّا وصل النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى هناك، أُخبِرَ بما جرى، فنزل عن راحلتِه، ووضع يدَه المباركةَ تحتَ الصخرة، ودعا، فانبجس الماءُ من الصخرةِ كالفوّارة.

المصدر: صحيح البخاري، كتاب المغازي (باب غزوة تبوك)؛ دلائل النبوة للبيهقي؛ السيرة النبوية لابن هشام.

لم ينقصِ الماءُ في القِرَب

في أحدِ الأسفار، قال الصحابةُ رضي الله عنهم: يا رسولَ الله، لا ماءَ عندنا وقد اشتدّ العطش. فرأى عليٌّ رضي الله عنه وبعضُ الصحابةِ امرأةً تحمل قِربتين مملوءتين ماءً على بعيرها. فسألوها: كم بينكِ وبين العين؟ فقالت: بيني وبينها مسيرةُ أربعٍ وعشرين ساعة. فجاءوا بها إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فأمر بإناء، وأخذ قليلًا من الماء من إحدى القِرَب، ثم دعا الله، ثم ردّ الماء فيها. فشرب الصحابةُ حتى ارتووا، وملؤوا أوعيتهم، وبقيت القِرَب مملوءةً كما هي. وكانت المرأةُ تنظرُ متعجّبةً ممّا رأت. فلمّا فرغ الناسُ، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: أعطوا هذه المرأةَ تمرًا، ثم أطلقوها.

المصدر: صحيح البخاري، كتاب الوضوء وكتاب المناقب؛ صحيح مسلم، كتاب الفضائل؛ دلائل النبوة للبيهقي.

الماءُ مادّةٌ سيّالةٌ تمتلك قدرةً تامّةً على الانتشارِ والانكماش. فسواءٌ كان الماءُ في إناءٍ أو في كأسٍ أو في جرّةٍ، أو كان في بركةٍ أو نهرٍ أو بحرٍ، فإنّه يتّسعُ بقدرِ ما يشاء ويَنْحَسِرُ بقدرِ ما يشاء. وهذه القدرةُ في الماء تُعبّرُ عمّا يُسمّى بلاشعورِ الماء.

في كلّ حياةٍ يكونُ للماءِ تأثيرٌ في ثلاثةِ جوانب. ويُقال إنّ طبيعةَ الماءِ أن يجري إلى الأسفل، ولكن على خلافِ ذلك نراه يرتفعُ حتى يبلغَ ثمانين قدمًا في شجرةِ جوزِ الهند، حيثُ يتجمّعُ في وعاءٍ مُحكمٍ داخلَ الثمرة. وإذا اندفعَ في المنخفضاتِ بهيئةٍ عاصفةٍ، اجتاح مدنًا بأكملها، ودمّرها تحتَ قوّتِه، وجعلها قاعًا صفصفًا.

منذُ أن وُجِدتِ الأرضُ إلى يومِنا هذا، تغيّر موضعُ البحارِ مرّاتٍ عديدة؛ فحيثُ توجدُ اليابسةُ اليوم، كان الماءُ في زمنٍ مضى، وحيثُ يوجدُ البحرُ الآن، كانت هناك أراضٍ مأهولة. ويرى العلماءُ أنّ البحارَ في كثيرٍ من مناطقِ العالم تتقدّم نحوَ اليابسة، وأنّ جزرًا كثيرةً قد غمرتها المياه، كما أنّ بعضَ الأجزاءِ التي غمرها البحرُ قد عادت فظهرت من جديد.

يرى الباحثون أنّ سطحَ الأرضِ في حالةِ حركةٍ دائمة، وتحتَ هذا السطح توجدُ صخورٌ منصهرة. كما أنّ المادّةَ المؤلّفةَ من الصخورِ الداكنة تتحرّك ببطء، ونتيجةً لذلك انقسمت القشرةُ الأرضيّة إلى صفائحَ كبيرة. وحيثما تنزاحُ هذه الصفائح، تتشقّقُ الأرضُ فتتكوّنُ الأخاديدُ والبحار. وفي بعضِ المناطق، يؤدّي الشدُّ إلى تكوّنِ طيّاتٍ، وهذه الطيّاتُ التي تظهرُ على سطحِ الأرض هي سلاسلُ الجبال.

تتكوّنُ الأرضُ من ثلاثةِ أجزاءٍ ماءٍ وجزءٍ واحدٍ يابسة. ويرى العلماءُ أنّ الحياةَ بدأت من كائنٍ حيٍّ بسيطٍ أحاديِّ الخلية (Single Cell)، ثم تطوّرت إلى الإنسانِ الذي يتكوّنُ من تريليوناتِ الخلايا (Cells)، وكذلك إلى الحيواناتِ الضخمة؛ فجميعُ أشكالِ الحياةِ قد نشأت من الماء.وتشتركُ جميعُ الكائناتِ الحيّة، سواءٌ التي تعيشُ في اليابسة أو في الماء، في تركيبِ دمِها، حيثُ توجدُ فيه عناصرُ الصوديوم (Sodium) والبوتاسيوم (Potassium)والكالسيوم (Calcium)بنِسَبٍ قريبةٍ من نسبتها في ماءِ البحر.

ويحتوي البحرُ على الملح، والأعشابِ البحريّة، والمأكولاتِ البحريّة (Sea Food)، وسائرِ الكائناتِ البحريّة، إضافةً إلى كميّاتٍ هائلةٍ من المعادنِ والعناصرِ الكيميائيّة. ففي ميلٍ مكعّبٍ واحدٍ من ماءِ البحر يوجدُ نحوُ مئةٍ وثلاثةٍ وثمانينَ مليونَ طنٍّ من الملحِ العادي (Sodium Chloride)، وثمانيةَ عشرَ مليونَ طنٍّ من كلوريدِ المغنيسيوم (Magnesium Chloride)، وثمانيةَ عشرَ مليونَ طنٍّ من كبريتاتِ المغنيسيوم (Magnesium Sulfate)، وتسعةٌ وخمسونَ مليونَ طنٍّ من كبريتاتِ الكالسيوم (Calcium Sulfate)، وثلاثمئةٍ وستّونَ ألفَ طنٍّ من بروميدِ المغنيسيوم (Magnesium Bromide)، إضافةً إلى عناصرَ أخرى مثلَ اليود (Iodine)، والحديد (Iron)، والنحاس (Copper)، والفضّة (Silver)، والذهب .(Gold)

ماءُ البحرِ مالحٌ بطبيعتِه، غير أنّه يُشاهَدُ في بعضِ السواحل وجودُ ينابيعَ من ماءٍ عذبٍ قريبًا منه، كما تجري ينابيعُ الماءِ العذبِ تحتَ قاعِ البحار. ولأنّ الماءَ العذبَ أخفُّ من ماءِ البحر، فإنّه إذا خرج من القاعِ متدفّقًا حاول الصعودَ إلى الأعلى، فتظهرُ على سطحِ البحرِ في تلك المواضع فقاعاتٌ واضحة. وتكونُ نسبةُ الملحِ في ماءِ البحرِ أعلى من غيرِه من العناصرِ الكيميائيّة. ففي الأماكنِ التي تصبُّ فيها الأنهارُ العذبةُ في البحرِ تقلُّ ملوحتُه، أمّا في المواضعِ التي يقلُّ فيها امتزاجُ الماءِ العذب، أو يكثرُ فيها التبخّر، فتزدادُ نسبةُ الملوحة. وبفعلِ حرارةِ الشمس، يتحوّل ماءُ البحارِ والأنهارِ والبحيرات إلى بخارٍ، فيتكوّنُ السحاب، وتحملهُ الرياحُ إلى أماكنَ مختلفة. ثم يهطل المطرُ على الجبالِ والسهول، وتختلطُ به غازاتُ الجوّ وبعضُ العناصرِ القادمةِ من الجبال، فيُكوّنُ رطوبةً في التربة، وهي عنصرٌ أساسيٌّ في العمليّاتِ الحيويّة. وإذا انخفضت درجةُ حرارةِ الهواءِ المحمَّلِ بالبخار، تكاثفَ هذا البخارُ وتحول إلى قطراتٍ صغيرة، تتعلّقُ مؤقّتًا بذُرّاتِ الغبارِ في الجوّ، فإذا ازدادت ثقلاً سقطت إلى الأرضِ على هيئةِ مطرٍ.

في قطراتِ الماءِ الموجودةِ داخلَ السُّحب شحناتٌ كهربائيّةٌ موجبةٌ أو سالبة. وعندما تتصادمُ هذه الجسيماتُ فيما بينها، تتجمّعُ الشحناتُ الموجبةُ في الجزءِ العلويّ من السحابة، بينما تتركّزُ الشحناتُ السالبةُ في الجزءِ السفليّ منها، وتبلغُ قوّةُ هذه الشحناتِ ملايينَ الفولتات. فإذا تصادمتِ الجسيماتُ السالبةُ في سحابةٍ مع الجسيماتِ الموجبةِ في سحابةٍ أخرى، أو مع الشحناتِ الموجبةِ الموجودةِ على سطحِ الأرض، حدثَ وميضُ البرق. ويؤدّي هذا الوميضُ إلى تسخينِ الهواءِ المحيط تسخينًا شديدًا، حتى تبلغَ حرارتُه نحو ثلاثةٍ وثلاثينَ ألفَ درجةٍ مئويّة. فتتمدّدُ هذه الكتلةُ من الهواءِ الحارّ بسرعةٍ كبيرة، ثم تصطدمُ بالهواءِ الباردِ المحيط بها، فينشأُ عن ذلك صوتُ الرعدِ الشديد. وعلى الرغمِ من أنّ البرقَ والرعدَ يحدثانِ في وقتٍ واحد، فإنّ الرعدَ يُسمَعُ بعدَ رؤيةِ البرق، لأنّ سرعةَ الصوتِ أقلُّ من سرعةِ الضوء.

يقدّرُ الباحثون أنّه في كلِّ ثانيةٍ يحدثُ نحوُ مئةِ شرارةٍ كهربائيّةٍ في أنحاءِ العالم، وأنّ شرارةً واحدةً من البرق تحتوي على طاقةٍ تكفي لتلبيةِ احتياجاتِ مدينةٍ صغيرةٍ لمدةِ عامٍ كامل. والحرارةُ والطاقةُ الناتجتان عن وميضِ البرق تُحدِثانِ تفكّكًا في قطراتِ الماءِ داخلَ السُّحب، فتدخلُ في تفاعلاتٍ كيميائيّةٍ مع الغازاتِ الموجودةِ في الجوّ، ممّا يؤدّي إلى تكوينِ مركّباتٍ من الأكسجينِ والهيدروجينِ والنيتروجين، ويُعرَفُ هذا المركّبُ اصطلاحًا بنتراتِ الأمونيوم، وهي من أفضلِ أنواعِ الأسمدة. وعندما تذوبُ هذه المادّةُ في ماءِ المطرِ وتمتصّها التربة، فإنّها تُسهمُ في إحياءِ النباتاتِ والمحاصيلِ وإمدادِها بالحياة. وقد تنتجُ من ومضةٍ واحدةٍ كميّاتٌ هائلةٌ من هذه الموادّ تُقدَّرُ بآلافِ بل ملايينِ الأطنان. ويُقدَّرُ أنّ نحوَ مئةٍ وعشرينَ ألفَ كيلومترٍ مكعّبٍ من الماءِ يسقطُ سنويًّا على القارّاتِ في صورةِ أمطار، وهذه الكميّةُ لا تمثّلُ إلا نسبةً ضئيلةً من مجموعِ مياهِ الأرض، إذ تعادلُ نحوَ واحدٍ في المئة من مياهِ السطح، وجزءًا يسيرًا جدًّا من المياهِ الجوفيّة. ثمّ تسيلُ مياهُ الأمطارِ عبرَ الجداولِ والوديانِ والينابيعِ والشلالاتِ والأنهار، حتى تصبَّ في البحارِ والمحيطات.

ينقسمُ ماءُ المطرِ إلى أجزاء؛ فجزءٌ كبيرٌ منه يتبخّرُ في الجوّ أو يجري عبرَ الأوديةِ حتى يصلَ إلى البحر، وجزءٌ آخرُ يتسرّبُ إلى داخلِ الأرض. وتحتوي طبقاتُ الأرضِ على صخورٍ ذاتِ مسام، فينفذُ الماءُ عبرَ التربةِ وهذه الصخورِ المساميّة، حتى إذا صادفَ طبقةً من صخورٍ غيرِ مساميّةٍ توقّفَ عندها، فلا يتقدّمُ أكثر، بل يتجمّعُ هناك، فتمتلئُ المسامُ والشقوقُ في الصخورِ بالماء. وتتحرّكُ خزّاناتُ المياهِ الجوفيّةُ داخلَ الأرضِ لمسافاتٍ طويلةٍ عبرَ السنين، وقد يبقى الماءُ محفوظًا في الطبقاتِ العميقةِ آلافَ السنين. كما أنّ مستوى المياهِ الجوفيّةِ يتغيّرُ تبعًا للفصول؛ ففي

موسمِ الجفافِ يقلُّ تسربُ الماء، أمّا في موسمِ الأمطار فتمتلئُ الشقوقُ والمساماتُ تمامًا. وحيثما يرتفعُ منسوبُ الماءِ الجوفيّ تتفجّرُ الينابيع، ويمكنُ للإنسانِ استخراجُ هذه المياهِ بحفرِ الآبارِ والاستفادةِ منها.

قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)) [البقرة:21. 22]

وقال تعالى: (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (11) [الزخرف:11]

قال تعالى: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (5)) [الزمر:5]، وقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (57) وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (58) [الأعراف:57. 58]. وقال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (48) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (49) فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (50) وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (51) [الروم:51].

بالتأمّلِ في معاني الآيةِ الكريمةِ ومفهومِها يتبيّنُ بوضوحٍ أنّ الحياةَ قائمةٌ على الماء. فقد أخبر اللهُ أنّه يُنزلُ الماءَ من السماءِ، ويُخرجُ به الأرزاقَ والثمار، وأنّ الأرضَ الميّتةَ إذا نزلَ عليها المطرُ دَبَّت فيها الحياة. فالأرضُ اليابسةُ تبدو في ظاهرِها قاحلةً، غير أنّ في باطنِها عوالمَ من المخلوقاتِ لا تُرى، ويُقال إنّ في غرامٍ واحدٍ من التربةِ مليارات من الكائناتِ الدقيقة. فإذا انقطعَ المطرُ مدّةً طويلةً سكنت هذه الكائناتُ وخمدت حركتُها، فإذا نزلَ المطرُ عادت إلى الحياةِ والنشاط. وبعد هطولِ المطر، يبدأُ في باطنِ الأرضِ نموٌّ متجدّدٌ يكون سببًا في ظهورِ أنواعٍ كثيرةٍ من الكائنات، من الحشراتِ والنباتاتِ والأشجارِ والثمار، حتى كأنّ مدنًا كاملةً قد قامت تحتَ الأرض. وخلاصةُ الأمر أنّ الماءَ عنصرٌ لا غنى عنه للحياة، ولا يمكنُ إنكارُ أهميّتِه في أيّ بحثٍ علميّ، إذ إنّ جميعَ عمليّاتِ التكاثرِ على سطحِ الأرض قائمةٌ عليه.

عندَ الحديثِ عن الماءِ من منظورٍ روحيّ، يُشارُ إلى جانبين: الماءُ نفسُه، وماهيّتُه. وكما أنّ في الإنسانِ وعيًا ولاوعيًا، وأنّ حياتَه قائمةٌ على انتقالِ المعلوماتِ من اللاوعي إلى الوعي، كذلك يقومُ وجودُ الماءِ على ماهيّتِه وخصائصِه. فتمدّدُ الماءِ وانكماشُه، وجريانُه في باطنِ الأرض، وظهورُه في العيونِ والشلالاتِ والجداولِ والأنهارِ والبحار، ونزولُه من السماء، كلُّ ذلك قائمٌ على حقيقتِه الباطنةِ، أي على لاشعورِه الذي به يتحرّك ويعمل.

وأمّا سيّدُنا عليه الصلوٰة والسلام، باعثُ نظامِ الكائنات، وأمينُ أسرارِ الله، والمقامُ في منصبِ النيابةِ والخلافة، والحاملُ للعلمِ اللدنيّ، العارفُ بأسرارِ التكوين، فهو صاحبُ تصرّفٍ بإذنِ الله في البرّ والبحرِ والشجرِ والحجرِ والسماواتِ والأرض. فإذا شاء أن يزدادَ الماءُ أو أن ينبعَ من بئرٍ جافّة، تصرّف في باطنِ الماء، أي في لاشعورِه، فتنشطُ في ظاهرِه خاصيّةُ الامتدادِ والجريان، فيتفجّرُ الماءُ من حيثُ لا يُظنّ. وكذلك حين وقع هذا التصرّفُ في ماءِ القِرَب، شربَ جمعٌ كثيرٌ من الناس، وبقي الماءُ كما هو، وذلك كلُّه جارٍ على وفقِ السننِ الإلهيّة.

قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً. . . (20)[النحل:20]

مفتاح الكعبة

كانَ عُثمانُ بنُ طلحةَ رضي الله عنه سادنَ الكعبةِ وحاملَ مفاتيحِها، وكان في أيّامِ الجاهليّةِ يفتحُ الكعبةَ يومي الاثنينِ والخميس. وفي يومٍ من الأيّامِ دخلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم الكعبةَ مع أصحابِه، فأساء عُثمانُ بنُ طلحةَ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، غيرَ أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عفا عنه وقال: يا عثمانُ، إنّ المفتاحَ سيكونُ يومًا في يدي، وأتصرّفُ فيه فأُعطيه من أشاء، وأضعه حيث أشاء. فقال عُثمانُ بنُ

طلحةَ: إذن تهلكُ قريشٌ وتذلّ. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: بل يعزّون يومئذٍ ويبقون. وفي يومِ فتحِ مكّةَ كان مفتاحُ الكعبةِ في يدِ محمدٍ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فطلب كلٌّ من عليٍّ رضي الله عنه والعبّاسِ رضي الله عنه أن يُعطى المفتاحَ، غيرَ أنّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أعاد المفتاحَ إلى عُثمانَ بنِ طلحةَ رضي الله عنه.

المصادر: السيرة النبوية لابن هشام؛ الطبقات الكبرى لابن سعد؛ دلائل النبوة للبيهقي.

المقاطعة

كتب كفّارُ مكّةَ وقريشٌ صحيفةً بالمقاطعةِ الاقتصاديّةِ ضدّ النبيّ صلى الله عليه وسلم، وعلّقوها في الكعبة، ونصّوا فيها على ألّا يُقيمَ أحدٌ علاقةً مع بني هاشم، حتّى لا يتعاملَ معهم التجّارُ من خارجِ مكّة .فأقام النبيُّ صلى الله عليه وسلم مع أهلِه وعشيرتِه في شِعبِ أبي طالب، وتحملوا ثلاثَ سنواتٍ من أشدِّ الضيقِ والمعاناة. وبعد ثلاثِ سنواتٍ، أخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلم قريشًا أنّ الصحيفةَ التي كتبوها قد أكلتها الأرضةُ، ولم يبقَ منها إلا اسمُ الله. فلمّا استحضروها واطّلعوا عليها، وجدوا أنّ الأرضةَ قد أكلت كلَّ ما فيها، ولم تتركْ إلا المواضعَ التي كُتب فيها اسمُ الله، فبقيت محفوظةً.

الأرضةُ (النملُ الأبيض) نوعٌ من النمل، تبني بيوتًا قد يبلغ ارتفاعُها من خمسةَ عشرَ إلى عشرين قدمًا. ومن دلائلِ دقّةِ نظامِها أنّها حين تبني مساكنَها تُشيّدُها على هيئةِ أقواسٍ، وتكونُ أسقفُها شديدةَ المتانة، تتحمّل أوزانًا كبيرةً قد تصل إلى وزنِ عدّةِ رجال. وفي مركزِ البيتِ تعيشُ الملكةُ والملك، وتحيطُ بهما غرفُ العمّال، ثمّ تليها حجراتُ الحاضنات، ثمّ تُنشأ بعد ذلك المخازن. وليس لبيوتِها أبوابٌ ظاهرة، كما أنّها لا تمتلكُ عيونًا، وتعيشُ تحتَ سطحِ الأرضِ اتّقاءً للافتراس، وتسيرُ في أنفاقٍ طينيّةٍ تُنشئُها لنفسِها. وبعضُها يتحرّكُ في الضوءِ وتكونُ له قدرةٌ على الإبصار. أمّا ذكورُها فلها أسنانٌ قويّةٌ جدًّا، تستطيعُ أن تُفتّتَ الخشبَ في وقتٍ قصير. وتبقى الملكةُ في غرفةٍ صغيرةٍ مغلقة، لا يكادُ بابُها يتّسعُ لخروجِها، فتُقدَّمُ إليها الغذاءُ داخلَ تلك الحجرة.

وقد أظهرَ هذا المخلوقُ الصغيرُ ذكاءً وإدراكًا، إذ لم يأكل من الصحيفةِ إلا الألفاظَ التي كُتبت لإيذاءِ النبيّ صلى الله عليه وسلم، أمّا اسمُ اللهِ تعالى الذي أعلن رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أنّه وحده المستحقُّ للعبادة، فلم تمسَّه الأرضةُ.

المصادر:السيرة النبوية لابن هشام؛ البداية والنهاية لابن كثير؛ دلائل النبوة للبيهقي.

سراقة والسوار

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر مهاجرين من مكة إلى المدينة، وأعلن الكفار إعطاء مكافأة قدرها مئة ناقة بدل كل واحد منهما لمن يعيدهما إلى قريش. فسال لهذه المكافأة لعاب كثيرين، فخرجوا يطاردونهما. وخرج سراقة على فرسه المسرعة. وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من غارحراء بعد ما قضوا فيه ثلاثة أيام. وهما في الطريق إذ بسراقة يخطو خطوات سريعة على فرسيه إليهم، فلما دنا منهما، ساخت يدا فرسه حتى بلغتا الركبتين في الأرض. ففزع سراقة فزعاً شديداً. وحاول أن ينزعهماولم يفلح. فقال: يامحمد، ادع الله أن ينجي فرسي من هذه المصيبة وأعدك بأني سأعود وأرد من أجده يطاردك.

فدعا له الرسول، فخرجت يداها من الأرض. وقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرجع: كأني أرى سواري كسرى بيدك ".

فلما فتحت إيران في عهد عمر بن الخطاب، وجيء بسواري كسرى في الغنائم، فألبسهما عمر سراقة.

المصادر:صحيح البخاري، كتاب المناقب وكتاب الهجرة؛ السيرة النبوية لابن هشام.

أسارى بدر

وأرسلت قريش في فداء أسراها في بدر بمال، وقال العباس: إنه ليس لي مال. فقال صلى الله عليه وسلم: فأين المال الذي وضعته عند أم الفضل بمكة حين خرجت وليس معكما أحد؟ ثم قلتَ: إن أصبت في سفري هذا فقسمي المال بين أبنائي.

وكان نوفل بن الحارث ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيش الكفار، وأُسِرَ في بدر. كان فداء كل أسير يوم بدر أربعة آلاف إلى ألف درهم، فمن لم يجد عنده شيئا أعطِيَ عشرة من غلمان المدينة، فعلمهم الكتابة، فإذا حذقوا فهم فداؤه.

وكان نوفل بن الحارث أسر ببدر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم": افد نفسك ". قال: مالي شئ أفتدى به. قال:" افد نفسك برمحك التي بجدة".

المصادر:صحيح البخاري، كتاب المغازي؛ صحيح مسلم، كتاب الجهاد؛ السيرة النبوية لابن هشام

العاصفة

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر لأصحابه: ستهب الليلة عاصفة، فلاينهضن أحد منكم في الليلة. وليعقل جمله موثقاً. فهبت عاصفة شديدة فيها، وأخذت رجلاً وألقته في الجبال، فلم يعلم مصيره.

المصادر:السيرة النبوية لابن هشام؛ دلائل النبوة للبيهقي.

الناقة المفقودة

وضلت نافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات فخرج بعض أصحابه في طلبها، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عمارة بن حزم الأنصاري، وكان في رحله زيد، وكان منافقا، فقال زيد: إن محمداً يزعم أنه نبي ويخبركم بخبرالسماء وهو لا يدري أمر ناقته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة بن حزم عنده: إن رجلا قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي ويخبركم بأمر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، هي في الوادي قد حبستها الشجرة بزمامها، فانطلقوا فجاءوا بها.

المصادر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل؛ دلائل النبوة للبيهقي.

رسالة في جديلة

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ورجلين معه إلى روضة خاج "، وقال لهم: إن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها، فانطلقوا تعادي بهم خيلهم حتى انتهوا إليها، وأخذوا المرأة، فأخرجته من عقاصها.

المصادر: صحيح البخاري، كتاب المغازي؛ صحيح مسلم.

تعليق على معركة مؤتة

ويوم موتة واجه الجيش الإسلامي ـ المكون من ثلاثة آلاف ـ مئتي ألف مقاتل من الكفار. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر في المدينة فقال: أخذ جعفر اللواء بيمينه فقاتل به حتى قطعت يمينه فأخذ الراية بيساره فقطعت يساره فاحتضن الراية وقاتل حتى قتل، ثم أخذ الرأية زيد وقاتل بشجاعة، حتى قتِلَ. ثم إني أريت أن الملائكة حملوه على سرير أخضر إلى الجنة.

المصادر: صحيح البخاري، كتاب المغازي؛ السيرة النبوية لابن هشام.

قبيلة هوازن

ويوم حنين دخل عليه رجل فقال: يارسول الله، رأيت هوازن قد حملوا أسلحتهم على الإبل وحضروا على بكرة أبيهم حينين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها كلها سيكون للمسلمين. فلما قاتلوا في اليوم التالي انتصر المسلمون عليهم.

المصادر:صحيح البخاري، كتاب المغازي؛السيرة النبوية لابن هشام.

وفاة النجاشي

قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم سلمة: « إني قد أهديت إلى النجاشي أواق من مسك وحلة، وإني لا أراه إلا قد مات، ولا أرى الهدية إلا سترد علي، فإن ردت علي، أعطيتك الحلة.

لما مات نعاه في اليوم الذي مات فيه وقال: استغفروا لأخيكم. وردت الهدية بعد موت النجاشي ملك الحبشة إليه صلى الله عليه وسلم.

المصادر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز؛ صحيح مسلم.

خسرو برويز

وفي السنة السابعة من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك، يدعوهم إلى الإسلام. فلما قرئ الكتاب على خسرو برويز مزقه، ولما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مزق الله ملكه)، و كتب خسروبرويز إلى بَاذَان عامله على اليمن: ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به. فاختار باذان رجلين ممن عنده، وبعثهما بكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهما بأن يبلغاه رسالة كسرى، فلما قدما المدينة، وقابلا النبي صلى الله عليه وسلم، وأفضيا إليه بما جاءا به. وقالا قولاً توعداه فيه، فأمرهما النبي صلى الله عليه وسلم أن يلاقياه غداً.

فلما دخلا عليه من الغد، قال: "إن كسرى قد قتل البارحة. وسلط الله عليه ابنه شيرويه بن كسرى، وأخذ الملك لنفسه. أخبرا باذان مني بذلك. وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ كسرى، وقولا له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك، وملكتك على قومك من الأبناء.

فخرجا من عنده حتى قدما على باذان فأخبراه الخبر، وبعد قليل جاء كتاب من شيرويه بأنه قتل أباه وأخذ الملك لنفسه، لأنه كان يستبيح دماء أعزة الناس، وأمره بأن يأخذ الطاعة من الرعية له، وقال له شيرويه في كتابه: انظر الرجل الذي كان كتب فيه أبي إليك، فلا تهجه حتى يأتيك أمري.

ثم إن باذان أسلم، وأسلم من باليمن من الإيرانيين.

المصادر: صحيح البخاري، كتاب المغازي؛السيرة النبوية لابن هشام.

ما في الصدور

ودخل واثلة بن أصقع على النبي صلى الله عليه وسلم وحوله عصابة من المسلمين يستفتونه فجعل يتخطاهم. قالوا: إليك يا واثلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال صلى الله عليه وسلم: دعوا واثلة، ادن يا واثلة. قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه فقال: يا واثلة جئت تسألني عن البر والإثم؟ فقال: نعم، قال: البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر.

المصادر: مسند أحمد؛ سنن الدارمي؛ البيهقي في شعب الإيمان.

هدف الزيارة

وكان عمير بن وهب ممن يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه و هم بمكة. وجلس ذات يوم في البيت الحرام فقال: أما والله لولا دَيْن على ليس له عندي قضاء، وعيال أخشي عليهم الضَّيْعةَ بعدي لركبتُ إلى محمد حتى أقتله. فقال أبو لهب: عليَّ دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي، أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم. ثم أمر عمير بسيفه فشُحِذَ له وسُمَّ، ثم انطلق حتى قدم به المدينة، ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ما جاء بك يا عمير؟) قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، أقدم لكم فداءه. فقال صلى الله عليه وسلم:كذبت، ما جئت لهذا. وإنما جئت لتقتلني. فلما انكشف سره ارتعد عمير، وسقط الخنجر المسموم من داخل ثيابه.

المصادر: السيرة النبوية لابن هشام؛ دلائل النبوة للبيهقي.

نصر الرومان

وفي السنة الخامسة من البعثة النبوية، انشبت حرب بين فارس ـ التي كانت تعبد النار ـ وبين الروم المسيحيين. و انتصر فارس على الروم في الحرب. وكان المسلمون يتعاطفون مع الروم بحكم أنهم كانوا يؤمنون بكتاب سماوي. فاستاؤوا من هزيمة الروم، فنزل قوله تعالى يطمئنهم: (فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6) [الروم:2. 6]

واستهزأ المشركون بالمسلمين. وصدق ما بشربه النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله: (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ، فِي بِضْعِ سِنِينَ) أي يغلب الروم فيما بين ثلاث إلى تسع سنوات.

المصادر: تفسير ابن كثير.

الكرم والسخاء

وقدم عدي بن حاتم المدينة من الشام، ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذه إلى بيته، وعرض عليه وسادة من أدم، وجلس النبي صلى الله عليه وسلم على الأرض. فقال عدي في نفسه: ليس هو ملكاً، فإن الملوك لايتصفون بمثل هذا التواضع.

وقال صلى الله عليه وسلم: « يا عدي بن حاتم ألست ركوسيا؟» قال عدي: قلت: بلى، قال: « ألست ترأس قومك ؟ » قلت: بلى، قال: « ألست تأخذ المرباع ؟ » قلت: بلى، قال: « فإن ذلك لا يحل لك في دينك ». فعلم عدي أنه رسول الله.

ثم قال له صلى الله عليه وسلم: « إنه لعله أن يمنعك أن تسلم أن ترى بمن عندنا خصاصة، وترى الناس علينا إلباً واحداً، والله لئن طالت بك حياة لترين المال يفيض على المسلمين، وترين الرجل يخرج ملء كفيه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله ».

وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ولعله يمنعك أن تؤمن أن ترانا قليلين، وخصومهم كثيرين، والله ليأتين على الناس زمان يسود الإسلام العالم كله. تخضع لهم البلاد على وجه البسيطة. لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله ».

وقال له: "لعله يمنعك أن ترى المسلمين ليس فيهم ملوكاً. وترى أن الملك عند خصومهم. والله ليأتين زمان، يملكون قصور بابل والروم. فلماسمع ذلك أسلم.

قال عدي: ثم رأيت في حياتي مَلكَ المسلمون قصور بابل البيضاء، و رأيت الظعينة ترتحل أياما عديدة حتى تصل إلى الكعبة وحدها. والله، لقد رأيت المال فاض عليهم حتى أصبح أحدهم يخرج بماله يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله.

المصادر: مسند أحمد؛ سنن الترمذي؛ دلائل النبوة للبيهقي.

أيد تنفق لله

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم لأزواجه: « أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا ». فكانت أزواجه يتطاولن أيهن أطول يدا. فلما ارتحل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، كانت زينب أطولهن يدا لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق. وتبين أن المراد بطول اليد الإكثارمن الإنفاق في سبيل الله تعالى.

المصادر: صحيح البخاري، كتاب المناقب؛ صحيح مسلم.

همس لفاطمة

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة، فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها فضحكت. قالت عائشة: فسألتها عن ذلك. فقالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن جبرئيل كان يدارسني القرآن مرة في السنة، ودارسني هذه السنة مرتين. فعلمت أني أقبض في هذه السنة ". فبكيت، ثم أخبرني أني أول أهله أتبعه فضحكت. فما مضت عليها ستة أشهر حتى توفيت.

المصادر: صحيح البخاري، كتاب المناقب؛ صحيح مسلم.

علي (رضي الله عنه)

وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لا تموت حتى تضرب ضربة على هذه فتخضب هذه – وأومأ إلى لحيته وهامته – ويقتلك أشقاها، كما عقر ناقة الله أشقى بني فلان من ثمود – نسبه إلى جده الأدنى ". وهو كيدار بن سالف.

فكان يقلب وجهه في السماء طوال الليل. ويقول: هذه الليلة التي وُعِدتُّها. فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب قط. فخرج لصلاة الفجر، فإذا البط تصرخ صراخاً يبلغ عنان السماء، وأراد الناس أن يسكتوها، فقال علي: دعوها، تبدي حزنها. فهجم عبد الرحمن بن ملجم عليه وهو في الصلاة بين يدى ربه. وضرب رأسه فكانت القاضية. و قتل شهيداً.

المصادر: مسند أحمد؛ البيهقي؛ البداية والنهاية لابن كثير.

سعد بن أبي وقاص

ومَرِض سعد بن أبي وقاص عَامَ الفَتْحِ مَرَضاً أَشْفَى مِنْهُ، فَأَتَاه رَسُوْلُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَعُوْدُه. فَقال: يَا رَسُوْلَ اللهِ!لَيْسَ يَرِثُنِي إِلاَّ ابْنَةٌ، أَفَأُوْصِي بِمَالِي ؟ قَالَ: (لَعَلَّكَ أَنْ تَبْقَى حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ، وَ يُضَرَّ بِكَ آخَرُوْنَ. فبرئ سعد من مرضه وعاش بعده خمسين عاماً في خدمة الإسلام.

وفتحت المدائن . عاصمة إيران . في قيادته.

المصادر: صحيح البخاري، كتاب الوصايا؛ صحيح مسلم.

الصحابي الجن، سرق رضي الله عنه

وجد عمر بن عبد العزيز في رحلته إلى مكة حية ميتة. فكفنه في ثوب، ودفنه. فساره أحد: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن سرقاً مات في صحراء سرق. يدفنه خير أمتي.

فسأله عمربن عبد العزيز: من أنت ؟ فقيل له: إني من الجن، وهذه صاحبي سرق. ولم يبق من الجن من بايع النبي صلى الله عليه وسلم أحد سواي.

المصادر: البيهقي في دلائل النبوة؛ البداية والنهاية لابن كثير.

****

القرآن الكريم:

لما قالَ اللهُ: «كُنْ»، تجلّت صورةُ الكونِ التي كانت في علمِه، فظهر الوجودُ؛ أي إنّ الكونَ انعكاسٌ لما في علمِ الله. وما في علمِه إنّما هو صفاتُه سبحانه.

وكلُّ ما في الكون، سواءٌ كان على الأرضِ أو في باطنِها، أو في السماوات، أو في أيّ جانبٍ من جوانبِ الوجود، إنّما هو مظهرٌ لصفاتِ الله. وبما أنّ الكونَ انعكاسٌ لما في علمِ الله، فإنّ كلَّ مخلوقٍ في الكون محتاجٌ في كلِّ لحظةٍ إلى خالقِ الكون، اللهِ تعالى.

انعكاسُ صفاتِ الله هو الوجهُ الأوّل، وأمّا الكونُ نفسُه—الذي هو في كلِّ آنٍ ولحظةٍ محتاجٌ إلى كرمِ خالقِه—فهو الوجهُ الثاني. ومن هذين الوجهين يستمرُّ الفعلُ الخَلقيّ في الكون.

فالوجهُ الأوّل، أو المرحلةُ الأولى، هو الوعيُ الجمعيُّ للكون. والمرحلةُ الثانيةُ هي النوع، أمّا المرحلةُ الثالثةُ فهي أفرادُ النوع. وكلُّ موجودٍ—أيًّا كان اسمُه—فإنّ وجودَه انعكاسٌ للمرحلةِ الأولى، سواءٌ أكان إنسانًا، أم جِنًّا، أم مَلَكًا، أم نباتًا، أم جمادًا، أم جرمًا من الأجرام المنتشرة في الكون.

وأمّا الإنسانُ فهو الفردُ المتميّز في الكون، وقد قال الله تعالى في شأنه: لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.

وفقًا لقانونِ الطبيعة، فإنّ للحياةِ الإنسانيّةِ وجهين: وجهًا ظاهرًا ووجهًا باطنًا. فالوجهُ الظاهرُ يُدرَكُ بالعينِ المادّيّة، أمّا الوجهُ الباطنُ فيُدرَكُ بعينِ الروح. والحقيقةُ أنّ ما في الباطنِ هو عينُ ما يظهرُ في الظاهر، وما ليس في الباطنِ لا يكونُ له وجودٌ في الظاهر. وبذلك يكونُ الباطنُ هو الأصل، والوجهُ الباطنُ للإنسان هو حقيقتُه وروحُه. وأمّا الوجهُ الظاهرُ فهو مقيَّدٌ بالزمانِ والمكان، في حين أنّ الوجهَ الباطنَ منزّهٌ عنهما. فعند الانتقالِ في الوجهِ الظاهرِ تحتاجُ المسافاتُ إلى ساعاتٍ أو أيّامٍ أو شهورٍ بحسبِ البعدِ والسرعة، أمّا في الوجهِ الباطنِ فلا حاجةَ إلى هذا الامتدادِ، ولا يحولُ دونَ الإدراكِ أيُّ حجاب.

كلُّ فردٍ في الكون مرتبطٌ بالآخر ارتباطًا لا شعوريًّا. فإذا اطّلع الإنسان—بنسبةٍ إلى سيّدِنا عليه الصلوٰة والسلام—على هذا القانون، أمكنه أن يرى حركةَ ذرّةٍ متّصلةً بحركةِ ذرّةٍ أخرى. والإنسانُ الذي يعي هذا القانون يستطيع أن يشاهدَ أحداثًا وقعت قبلَ آلافِ السنين أو ستقع بعدَ آلافِ السنين. وهذا الإدراكُ يمرُّ به كلُّ فردٍ من نوعِ الإنسان بصورةٍ ما. فمثلًا: نحن في النهار نرى الشمسَ على بُعدِ نحوِ تسعينَ مليونَ ميل، وفي كلِّ ليلةٍ نرى النجومَ على مسافاتٍ تبلغ ملايينَ الأميال، ومع ذلك تكونُ حاضرةً أمام أعيننا. فهذا الإدراكُ لتلك المسافاتِ البعيدةِ دونَ حائلٍ هو من آثارِ الشعورِ الكونيّ.

وهذا القانونُ نفسُه جارٍ في نبوءاتِ سيّدِنا حضورِ عليه الصلوٰة والسلام. فإنّ سيّدَنا حضورًا عليه الصلوٰة والسلام هو رحمةٌ للعالمين، أرسله اللهُ ربُّ العالمين. وقد أُطْلِعَ عليه الصلوٰة والسلام على دقائقِ الخلقِ وأسرارِه، فكان عارفًا بمخفيّاتِ الكون. وبكونِه أمينًا على علمِ الغيب، فإنّه حين استعمل هذا الشعورَ الكونيَّ، انكشفت له الوقائعُ قبل وقوعِها، فصارت حاضرةً أمامه.

يد من رحمة

وكان بوجه الصحابي أبيض بن حمال حزازة، وهي القوباء، فبدا وجهه قبيحاً، فطلبه النبي صى الله عليه وسلم ذات يوم إليه، وأمره أن يجلس على صخرة من الصخور، ومسح على وجهه، فلم يُمْسِ ذلك اليوم وبه أثر.

وكان يزيد بن قنافة الطائي به صلع، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسه، فذهب صلعه ونبت الشعر، وكثف حتى أطلق عليه "بلب" لكثرة شعررأسه.

المصادر: دلائل النبوة للبيهقي (ج 6، ص 221)، والشفا بتعريف حقوق المصطفى :قصةُ شفاءِ أبيضِ بنِ حِمالٍ من الحزازة (ج 1، ص 313). دلائل النبوة للبيهقي، والخصائص الكبرى :قصةُ زوالِ الصلع عن يزيدَ بنِ قَنافَة الطائي (ج 2، ص 109).

ولد به جنون

وأتت النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم امرأة بابن لها، وقالت: إن ابني هذا به جنون. فأدناه النبي صلى الله عليه وسلم إليه، وأجلسه، ومسح يده على رأسه، فلم يمض مدة حتى قاء قيئاً أسود، وشفى من مرض الجنون.

المصادر: قصةُ شفاءِ الصبيّ من الجنون: مسند أحمد (ج 4، ص 170)، وسنن أبي داود (رقم 3895)، وذكرها أيضًا دلائل النبوة للبيهقي.

مقلة العين

تفرق المسلمون في غزوة بدر عن النبي صلى الله عليه وسلم، فأحاط به المشركون، وضيقوا عليه الحصار. فكان ممن ثبت و دافع عنه صلى الله عليه وسلم دفاعاً مستميتاً: أبو دجانة، وسعد بن أبي وقاص، وقتادة بن النعمان رضي الله عنهم. وَهُوَ الَّذِي وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى خَدِّهِ فَأَتَى بِهَا إِلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَغَمَزَهَا رَسُوْلُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِيَدِهِ الشَّرِيْفَةِ، فَرَدَّهَا، فَكَانَتْ أَصَحَّ عَيْنَيْهِ.

المصادر:صةُ ردِّ عينِ قتادةَ بنِ النعمان رضي الله عنه: سنن الترمذي (رقم 3636)، ودلائل النبوة للبيهقي (ج 6، ص 234)، والشفا بتعريف حقوق المصطفى.

الأذان في الحرم

ورجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين، إذ أدركته الصلاة وهو في الطريق، فنزل كعادته. وأذن المؤذن، وكان أبومحذورة . وجماعة من أصحابه . قريباً منه. فلما سمعوا الأذان حاكوه بأصوات عالية استهزاء به. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يأتي بهم. فلما جاء بهم، أمرهم أن يؤذن كل منهم. فأذنوا رجلاً رجلاً. وكان أبومحذورة أحسنهم وأنداهم صوتاً، فَقَالَ حِيْنَ أَذَّنَ: (تَعَالَ). فَأَجْلَسَه بَيْنَ يَدَيْهِ، فَمَسَحَ عَلَى نَاصِيَتِه و وجهه، حتى وصل إلى صدره وظهر، وقلبه إلى سرته، وقال: بارك الله فيك، وأكرمك، اذْهَبْ، فَأَذِّنْ عِنْدَ البَيْتِ الحَرَامِ).

المصادر:قصةُ أبي محذورة رضي الله عنه والأذان: صحيح مسلم (رقم 379)، وسنن أبي داود (رقم 500)، وسنن الترمذي.

تربة الإكسير

ومر النبي صلى الله عليه وسلم ببني الحارث، وفيهم مصاب بالحمى الشديدة، فقال: يارسول الله، إن الحمى عادت من الأوبئة في ديارنا. فقال صلى الله عليه وسلم: "خذ تراباً من موضع صعيب. وعلَّمه دعاء يقرأه عليه، وأمره أن يمسح به جسده. فشفي المصاب بالحمى. و كذلك كان هذا التراب يشفي مريض البرص وغيرها من الأمراض الجلدية. وعادت ترياقاً لها.

المصادر: قصةُ التداوي بالتراب والدعاء للحمّى: ورد أصلُ الرُّقى والتداوي في صحيح البخاري (رقم 5745)، وصحيح مسلم (رقم 2194)، وذُكرت هذه القصة في دلائل النبوة للبيهقي والخصائص الكبرى.

عادتِ الشاة إلى الحياة

لما كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مهاجرًا إلى المدينة، مرَّ بخيمةِ امرأةٍ من بني خُزاعة تُدعى عاتكةَ بنتَ خالد، وكانت تُعرفُ بأمِّ معبد، وكانت تسقي المارّين وتُطعمهم. فرأى صلى الله عليه وسلم شاةً مربوطةً إلى جانبِ الخيمة، فسأل عنها، فقالت أمُّ معبد: هذه شاةٌ ضعيفةٌ مريضة، لا تقدرُ أن تسيرَ مع القطيع، وتتخلّفُ عن سائرِ الغنم من شدّةِ هزالها.

فقال صلى الله عليه وسلم: «هل فيها من لبن؟» فقالت: لا لبنَ فيها. فطلب إناءً، وجعل يحلبها، فامتلأ الإناءُ لبنًا، فسقى أمَّ معبد أوّلًا، ثم سقى أصحابَه، ثم شرب صلى الله عليه وسلم في آخرهم.وكان عند جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه شاةٌ وبعضُ الزاد، فذبح الشاة، وطحنت زوجتُه الشعير، فصنعت خبزًا ولحمًا، وأعدّت قِدرًا من الثريد. فجاء جابرٌ رضي الله عنه بالثريد إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: «يا جابر، اجمع أصحابَك، وأرسلهم إليَّ فوجًا بعد فوج.«

فجعل جابرٌ يرسلهم جماعاتٍ، فأكلوا حتى شبعوا جميعًا، وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول لهم: «كُلوا ولا تكسروا العظام.«

فلمّا فرغ القومُ، جمع صلى الله عليه وسلم العظامَ في وسط الإناء، ووضع يدَه المباركة عليها، وتكلّم بكلماتٍ، فإذا بالشاة تقومُ حيّةً تحرّك أذنيها.فقال صلى الله عليه وسلم: «يا جابر، خُذ شاتك.»

المصادر: قصةُ شاةِ أمّ معبد وبركة اللبن: السيرة النبوية لابن هشام (ج 1، ص 482)، ودلائل النبوة للبيهقي)ج 2، ص 206 .(قصةُ تكثير الطعام عند جابر رضي الله عنه:صحيح البخاري (رقم 4101)، وصحيح مسلم (قم 2039) .

قصةُ إحياء الشاة بعد جمع العظام: دلائل النبوة للبيهقي، والخصائص الكبرى .

****

حضرَةُ قلندر بابا أولياء رحمه الله كتب في كتابه «لوحُ والقلم» المبنيّ على العلومِ والقوانينِ الروحانيّة أنّه يكتبُ هذا الكتابَ بأمرٍ من نبيّ الإسلام سيّدِنا عليه الصلوٰةُ والسلام، وأنّ هذا الأمرَ قد وصلَه من ذاتِه الشريفة بطريقِ الأويسيّة. وقد ذكر في صفحة 121 من كتاب «لوحُ والقلم» في بيانِ المعجزةِ والكرامةِ والاستدراج: إنَّ التجلّي إذا تنزّل صار نورًا، وإذا تنزّل النورُ صار ضوءًا أو مظهرًا. وهذا المظهرُ هو الشيءُ، وهو الصورةُ المظهريّةُ للتجلّي والنور. وبعبارةٍ أخرى: إنّ التجلّي تنزّل فصار نورًا، ثمّ تنزّل النورُ فصار مظهرًا أو شيئًا. فهذا المظهرُ خُلق من التجلّي والنور، ثمّ يفنى في النور والتجلّي، وإذا شاء الله أعاد هذا المعدومَ إلى الوجود. والعارفُ إنّما يتصرّف في علمِ الشيءِ، فيقع أثرُ هذا التصرّف مباشرةً على الشيءِ.

التصرّفُ على ثلاثةِ أقسامٍ:

1. المعجزةُ
2. الكرامةُ
3. الاستدراجُ

وهنا لا بدَّ من بيانِ الفرقِ بين هذه الأقسامِ الثلاثة. فالاستدراجُ هو علمٌ ينشأ في الإنسان تحتَ تأثيرِ الأرواحِ الخبيثةِ من أهلِ الأعراف أو الجنّ الشيطانيّين، وذلك بسببِ تركيبٍ خاصٍّ في وجودِه.

وقد وُجد مثالٌ على ذلك في عهدِ سيّدِنا عليه الصلوٰةُ والسلام؛ إذ كان غلامٌ يُدعى ابنَ صيّادٍ يسكنُ في بستانٍ قريبٍ من المدينة. فاختطفه بعضُ أتباعِ الشيطان، وأيقظوا فيه الحاسّةَ السادسة، فكان يغطّي نفسَه بثوبٍ، ويُغمضُ عينيه، ثمّ يشاهدُ أنشطةَ الملائكةِ ويسمعُها، ويُحدّثُ الناسَ بها.

فلمّا بلغ سيّدَنا عليه الصلوٰةُ والسلام خبرُه، قال لسيّدِنا عمرَ الفاروق رضي الله عنه: «تعالَ بنا ننظرُ إلى ابنِ صيّادٍ.»

وكان في ذلك الوقتِ يلعبُ على تلٍّ أحمرَ قريبٍ من المدينة. فَسَأَلَهُ سيّدُنا عليه الصلوٰةُ والسلام: «أخبرني من أنا؟»

فسكتَ هُنيئةً يفكّر، ثم قال: «أنت رسولُ الأميّين، ولكنّك تقول إنّي رسولُ الله.»

فقال سيّدُنا عليه الصلوٰةُ والسلام: «علمُك ناقصٌ، وقد وقعتَ في الشكّ. فأخبرني: ماذا في نفسي؟»

فقال: «دُخّ»، أي إنّك تظنُّ أنّي لا أؤمن.

فقال سيّدُنا عليه الصلوٰةُ والسلام: «بل علمُك محدودٌ، فلا تستطيعُ أن ترتقي، ولا تدري لِمَ كان الأمرُ كذلك.»

فقال سيّدُنا عمرُ الفاروق رضي الله عنه: «يا رسولَ الله، إن أذِنتَ لي ضربتُ عنقَه.»

فقال سيّدُنا عليه الصلوٰةُ والسلام: «يا عمر، إن يكن هذا هو الدجّال فلن تقدرَ عليه، وإن لم يكن هو، فلا خيرَ في قتلِه، فدعْه.»

في عالمِ الغيبِ لا تُعدُّ الألفاظُ والمعاني شيئًا. كلُّ شيءٍ في عالمِ الغيبِ له صورةٌ وهيئة، سواءٌ كان وَهْمًا أو خيالًا أو إحساسًا. فإذا استيقظت الحاسّةُ السادسةُ عند الإنسان، نشأت في ذهنه قدرةُ الكشفِ عن الغيب. وفي اللغةِ العبرانيّة يُطلق «النبي» على الغيبِ البصير، و«الرسول» على قاصدِ الغيب. ولهذا لم يُدرك ابنُ صيّادٍ مقامَ رسالةِ سيّدِنا عليه الصلوٰةُ والسلام إدراكًا صحيحًا؛ إذ لم يرَ إلا أنّه قاصدٌ من عالمِ الغيب، وكانت معرفتُه بالغيب محدودةً بحدودِه أو بحدودِ الجنّ الذين كانوا يتّصلون به. وكان غايةُ ما وصل إليه أن يشاهدَ أنشطةَ الملائكة، ولم تتجاوز قدرتُه ذلك. فلمّا حاول فهمَ حقيقةِ سيّدِنا عليه الصلوٰةُ والسلام، لما لم ينل معرفةَ الله، حكم عليه بأنّه رسولٌ من الغيب. وكانت رؤيتُه لا تتعدّى إدراكَ أنّ سيّدَنا عليه الصلوٰةُ والسلام بُعث في قومٍ أميّين، وأنّ معجزاته ظهرت فيهم، فسمّاه رسولَ الأميّين. ولما رأى سيّدُنا عليه الصلوٰةُ والسلام أنّه محصورٌ في حدودِ الاستدراج، سأله: «أخبرني ما في نفسي»، فقال: «دُخّ». فلمّا علم أنّه لن يبلغَ المعرفة، قال له: «إنّك لا تستطيعُ أن ترتقي.»

وعلى هذا، فإنّ كلَّ من كان على شاكلةِ ابنِ صيّادٍ من أهلِ الاستدراج لا يمكنه أن ينالَ معرفةَ الله تعالى.

والفرقُ بين علمِ الاستدراج وعلمِ النبوّة أنّ علمَ الاستدراج يظلُّ محدودًا في حدودِ الكشفِ عن الغيب، أمّا علمُ النبوّة فإنّه يتجاوزُ بصاحبه تلك الحدود، ويبلّغه إلى معرفةِ الله تعالى.

وما كان يَصدُرُ عن النبيّ من الأمورِ الخارقةِ للعادةِ يُسمّى معجزةً، وما يَصدُرُ عن الوليّ يُسمّى كرامةً، غير أنّ الكرامةَ أيضًا تكونُ تحتَ تأثيرِ علمِ النبوّة.

والمعجزةُ والكرامةُ لا يكون تصرّفُهما استقلاليًّا، بل يزول أثرُهما بتغيّرِ أحوالِ الكون.

أمّا ما يقعُ تحتَ تأثيرِ الاستدراج، فيُسمّى سحرًا.

الجن يقول: أسرع

وكان سوادبن قارب أحد الكهان قبل الإسلام. وكان يخضع له جني يأتيه بخبر الغيب. قال سواد بن قارب: قال لي جني ذات يوم: قم يا سواد بن قارب، واسمع أقل لك.

وأعمل عقلك إن كنت ذا عقل.

إن النبي قد بعث.

يدعو إلى الله الواحد.

ثم اهتز الجني وأنشد:

عجبت للجن وأرجاسها ورحلها العيس بأحلاسها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما صالحوها مثل أنجاسها

قال: ثم عدت فنمت فضربني برجله وقال: قم ياسواد بن قارب أتاك رسول من لؤي بن غالب فاستويت قاعدا فأدبر وهويقول:

عجبت للجن وأخبارها = ورحلها العيس بأواها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى = ما مؤمنوها مثل كفارها

فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ. . . بَيْنَ رَوَابِيهَا وَأَحْجَارِهَا

فطرده سوادبن قارب، ثم أتاه الجني في الليلة القادمة، ودعاه إلى السفر إلى مكة. ثم عاد إليه الثالثة، فأنبهه وأفزعه، وقال:

فانهض إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى راسها،

وأعاد ما قاله في الليلتين السالفتين:

عجبت للجن وأنجاسها وشدها العيس بأحلاسها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ليس ذووالشركأخيارها

فلما سمعه يكرر ليلة بعد ليلة، قلق، وسهر، فلما أصبح انطلق إلى رحله فشده على راحلته، فما حلل نسعة، ولا عقد أخرى حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا هو بالمدينة، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مرحبا بك يا سواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك. فاستيقن سواد بن قارب بما أخبره به الجني. وأسلم.

المصادر:قصةُ سوادِ بنِ قاربٍ والجنيّ قبل إسلامه: دلائل النبوة للبيهقي (ج 2، ص 246)، والسيرة النبوية لابن هشام، والبداية والنهاية (ج 3، ص 17).

يُستفادُ من هذه الواقعة أنّ عالمَ الإنسِ وعالمَ الجنّ متشابهانِ في وجوهٍ كثيرة؛ فكما أنّ الإنسانَ يسافرُ ويركبُ الدوابَّ كالإبل، فكذلك في عالمِ الجنّ ما يُشبه ذلك. وكما أنّ الإنسانَ يطلبُ الهدايةَ ويهتدي بتوفيقِ الله فيدخلُ في الإسلام، فإنّ الجنَّ أيضًا يدخلون في الإسلام أفواجًا وجماعات. وكما أنّ المسلمينَ من الإنسِ يعشقون الوجهَ النورانيَّ لسيّدِنا عليه الصلوٰةُ والسلام، ويرون الفداءَ له أعظمَ سعادة، فكذلك الجنُّ يعدّون الفداءَ له شرفًا وسعادةً كبرى.

الله هو المنقذ

وقفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض الغزوات، فأدركته القائلة يوما بوادٍ كثير العضاة، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفرق الناس في العضاة يستظلون بالشجر، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ظل سمرة، فعلق بها سيفه. فتسلل إليه أعرابي كان بالمرصاد منه، واخترط سيف النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم، فوقف بين يديه، وقال: من يمنعك مني؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم بكل ثقة واطمئنان: الله، فسقط السيف من يده.

المصادر:قصةُ الأعرابيّ الذي أخذ سيفَ النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: «من يمنعك مني؟» فقال: «الله»، فسقط السيفُ من يده: صحيح البخاري (رقم 2910)، وصحيح مسلم (رقم 843).

تاجر الإبل

ابتاع أبوجهل من رجل إبلا نسيئةً. فمطله بأثمانها فلما أئس البائع منه أتى مجلساً لقريش فقال: يا معشر قريش هل من رجل يعديني على أبي الحكم بن هشام ؟ فإني غريب، ابن سبيل وقد غلبني على حقي. فقال أهل المجلس: ترى ذلك الرجل، وهم يهوون له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . استهزاءً: اذهب إليه فهو يؤديك عليه، فأقبل الرجل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقام معه، حتى جاء بيت أبي جهل فضرب عليه بابه، فخرج إليه أبوجهل، وما في وجهه بايحة، وقد انتقع لونه قال: أعط هذا الرجل حقه قال: لا تبرح حتى أعطيه الذي له فدخل فخرج إليه بحقه، فدفعه إليه.

المصادر: قصةُ الرجلِ الذي طلب حقَّه من أبي جهل، وقضاء النبيّ صلى الله عليه وسلم له: السيرة النبوية لابن هشام (ج 1، ص 416)، والبداية والنهاية (ج 3، ص 42)، ودلائل النبوة للبيهقي.

رسول الله

أمرَ سيّدُنا عليه الصلوٰةُ والسلام سيّدَنا بلالًا رضي الله عنه أن يُؤذِّن في الكعبةِ المشرّفة. وكان أبو سفيانَ بنُ حربٍ، وعتّابُ بنُ أُسيد، والحارثُ بنُ هشامٍ جالسين في صحنِ الكعبة، وكان اثنانِ منهم لم يدخلا في الإسلام بعدُ. فقال عتّابُ بنُ أُسيد: لقد حفظَ اللهُ أبي أُسيدًا من سماعِ هذا الصوت. وقال الحارثُ بنُ هشام: واللهِ، لو أعلمُ أنّ محمدًا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الحقّ لاتّبعتُه. وقال أبو سفيان: أمّا أنا فلا أقولُ شيئًا، فإنّي إن قلتُ كلمةً أخبرتْ بها هذه الحصى التي حولَنا محمدًا صلى الله عليه وسلم.

المصادر:قصةُ أذانِ بلالٍ رضي الله عنه في الكعبةِ وحديثُ أبي سفيان وعتّابِ بنِ أُسيد والحارثِ بنِ هشام: السيرة النبوية لابن هشام (ج 2، ص 412)، والبداية والنهاية (ج 4، ص 301)، ودلائل النبوة للبيهقي.

الحاج المغربي:

دبَّرت النصارى حيلةً لانتشال جسد الرسول الأطهر صلى الله عليه و سلم من قبره. وكان نور الدين زنكي ملك يقوم الليل. رأى في المنام أن النبي صلى الله عليه وسلم يأمره أن يخلصه من رجلين، وهويشير إلى رجلين أحمرين. ونهض السلطان من نومه، وتوضأ، وتطوع ونام. ثم رأى في المنام أن النبي صلى الله عليه وسلم يشير إلى رجلين أحمرين، ويقول: أنقذني من هذين الكلبين.

فاستيقظ من نومه، وتطوع ونام. ثم رأى في المنام مرة ثالثة مثل ذلك. فالنبي صلى الله عليه وسلم أمره بشيء في ليلة واحدة ثلاث مرات. فطلب السلطان وزيره الصالح جمال الدين الموصلي، وشاوره. فقال له جمال الدين: وأنت جالس هنا، انطلق على الفور. فإن النبي صلى الله عليه وسلم يدعوك. وإن المدينة لابد أن تكون شهدت حدثاً غير عادي.

فركب السلطان الرواحل السريعة، ومعه عشرون من أصحابه. وحمل جمال الدين الموصلي ألف إبل وفرس عليها أحمالها. وصل السلطان إلى المدينة بعد ستة عشر يوماً. وأعلن أن السلطان قدم للزيارة، وحمل معه أمتعة كثيرة يوزعها بين أهل المدينة. وعمل لهم مأدبة وأمرهم جميعاً أن يحضروها.

فجاء أهل المدينة أفواجاً وحضروا المأدبة. كلما دخل رجل أمعن السلطان فيه النظر.

فلما قدموا جميعاً قال لهم السلطان:

هل تخلف أحد ؟

فقالوا: لم يبق من أهل المدينة أحد، غير حاجين مغربيين، معتزلان في بيتهما، يعبدان الله ليل نهار فيه ويكثران من التصدق على الفقراء. لم يحضرا هذه المأدبة. فأمر السلطان بإحضارهما.

فما أن رآهما حتى عرفهما. فقال لهم:من أنتما ؟ ومن أين جئتما ؟ قالا: نحن قدمنا حجاجاً.

فسأل السلطان عن منزلهما، فقالوا: في رباط قريب من الحجرة النبوية. فأمر السلطان بإلقاء القبض عليهما. وفتشوا منزلهما، فلم يجدوا به شيئاً سوى أموال الصدقات، والمصاحف، وكتب والوعظ والنصح. وشهد الناس بزهدهما وصلاحهما، وأثنوا عليهما كثيراً. وقالوا: هما كريمان، يقضيان نهارهما بين يدي الروضة، يسلمان على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعوان، يزوران البقيع كل صباح. ويزوران قباء كل اثنين. لايردان سائلاً صفر اليدين. فلم يعد في المدينة فقير ببركة جودهما و سخائهما. فلما فتشوا تفتيشاً، وجدوا تحت السجادة سرداباً حيث شقوه منه نفقاً إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم. فلما تعمقوا في أمرهما تبين أنهما إخوان الشيطان في لباس الحجاج. كانا يريدان إخراج جسد الرسول صلى الله عليه وسلم من قبره. ويحفران النفق طوال الليل، ويلقيان ما يخرج من التراب في البقيع صباحاً مبكراً في جراب من الأدم. وقد أكملا الحفر، وبلغا القبر، وفي الصباح التالي أمر السلطان نور الدين زنكي بإلقاء القبض عليهما وقتلهما. وخر السلطان ساجداً شكراً لله تعالى على أن اختاره لهذا العمل الجليل، وبكى بكاء شديداً. ثم أمر بالحفرحول الحجرة الشريفة حتى بلغوا الماء، ثم أمر بإفراغ في الفجوة. وذلك عام 555 هـ كما تقول الروايات.

المصادر:قصةُ نورِ الدينِ زنكي ومحاولةِ سرقةِ الجسدِ الشريف:، ذكرها الروضتين في أخبار الدولتين، والبداية والنهاية (ج 12)، ووفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، وهي من الأخبارِ التاريخيّة المشهورة في كتبِ السير والتاريخ.